صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق – ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

ايلول ١٩٧٦

صفحات مشرقة

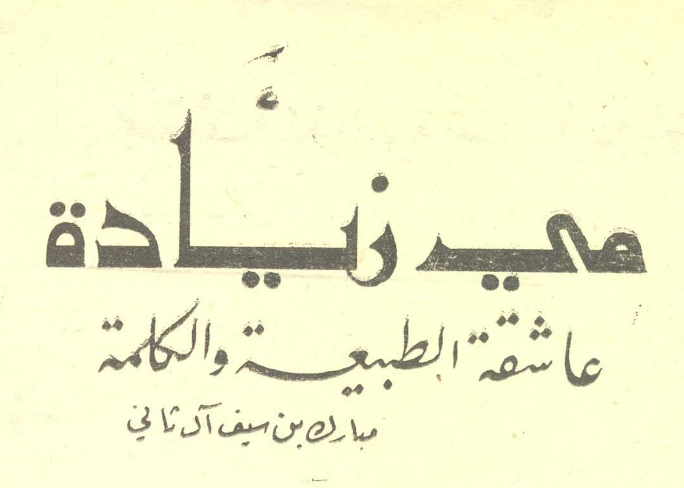
بقلم :

التزاما منا بما أخذناه على أنفسنا منذ ظهور العدد الاول من مجلة « الثقافة » يوم جعلنا أول بند من بنود رسالتنا ، حماية تراثنا ، وكشف الكنوز الادبية في ماضينا المجيد ، واحياء ما نحن بحاجة اليه ، لخلق جيل يربط ماضيه بحاضره •

التزاما منا بهذه الفكرة ، نجد أنفسنا اليوم ، أمام منهج جديد ، في تخصيص زاوية ، قد تطول وقد تقصر ، وبدءا من العدد القادم ، تتناول أروع ما كتبه أدباؤنا ومفكرونا وشعراؤنا ، في تراثنا الاسلامي ، تحت عنوان « صفحات مشرقة » معتمدين في ذلك على مكتبة المجلة ، مختارين منها أجمل ما كتبه أدباؤنا المعاصرون ، سواء منهم من مات أو ما زال على قيد الحياة •

ولم يكن الدافع لهذه الخطوة ، الا ما نلمسه كل يوم من بعد شبابنا المثقف عن مثل هذه الروائع ، ولعلنا بذلك نجد طريقا واضحة المعالم لتحقيق الفكرة الاسمى ، في جعل أدبنا المعاصر ، استمرارا صحيحا ومتزنا لادب أصيل تزخر به مكتبتنا العربية •

رئيس التحرير



مي زيادة الادبية والصحفية والشاعرة التي كان بيتها في القاهرة منتدى للادباء والشعراء والساسة والعظماء في الثلث الاول من هذا القرن ٠

لقد تعددت ألقابها وأسماؤها فهي « عائدة » و«كنار» و « شجية » و«السندباد البحرية الاولى» و «مدموزيل صهباء» و « خالد رأفت » و« ايزيس كوبيا » ٠ان هذه الاسماء تعني شخصية واحدة هي مي أو « ماري زيادة» وهو أسمها الحقيقي

ولدت أديبتنا في الناصرة من أعمال فلسطين من أب لبناني يدعي ألياس زاخور زيادة من شحتول قضاء كسروان في جبل لبنان ، وأمها فلسطينية من الجليل ٠ كان والدها مدرسا في الارض المقدسة في الناصرة ٠ وكان راتبه ضئيلا مما جعله يفكر في الهجرة فلعلها ترفع من مستوى معيشه ، فاختار القاهرة ٠ وهكذا غادرت مي الناصرة مع أبيها وأمها، وقد اختار والدها العمل في التدريس والصحافة ثم انصرف ليوجه كل جهوده للصحافة وحدها ، فاختار « المحروسة » وهي احدى الجرائد المصرية المرموقة آنذاك ليعمل بها ومن ثم ليمتلكها ٠

الناصرة على لسانها

ورغم مغادرة « مي » لبلدتها « الناصرة » ٠ الا أن ذكرها ظل يتردد على لسانها، وظلت تعيش في مخيلتها تلك الروابي الخضراء ، والاشجار الباسقة ، والخزامى الذي يطوف شذاه بين التلال مع اطلالة الربيع ، فلنسمعها تتحدث عن الناصرة التي ما برحت مخيلتها وما زال يلهج لسانها بذكراها كلما اعتصر قلبها الحنين وهاج به الشوق :

« ايه ناصرة ٠٠ لن أنساك ما دمت حية ، ساعيش دوما تلك الهنيات العذبة التي قضيتها في كتف منازلك الصامتة : سأحفظ في نفسي الفتية ذكرى هتافات قلبي وخلجات أعماقي » ٠٠

« لقد كنت لي مدينة الازاهر العذبة ومجال التنعم بأطيب الاوقات في وجودي » ·« غير أني ويا للاسف سأبعد عنك ، سأبتعد عن أكوام غيومك ، وعن كواكب ليلك ، لن أرى بعد المنازل الدافئة التي احتفظت ببسمات صباي وأماني وأحلامي » ··

« غير أني سأحمل ذكرى كل هذه الاشياء تافهة كانت أم عظيمة كأعز ما لدي في الوجود » ··

مي عاشقة الطبيعة

لقد ظهرت في روضة الادب كما تنبت الزهور في روابى الشام فهي ربيبتها التي لاتفتأ تتغنى بجمالها ·· يطربها خرير الجدوال ويشجيها تغريد الطيور بين أغصان الصنوبر ، وتنظر الى جبال الشام المكللة هاماتها بالثلوج ، فترى فيها معنى الصدق والطهارة والصفاء وتلهب مخليتها سماؤها الصافية المتلألئة بنجوم ليلة من ليالي الصيف وأمطارها التي تغسل الآكام المعشوشية فكانت بحق كزهرة من زهور تلك الروابى · فما أكثر ما كتبت عن الطبيعة وما أكثر ما تغنى بها لسانها وطبعها قلمها جنات وارفةالظلال فلندعها تتحدث ولنستمع اليها حيث تقول :

« ان قلبي ليذوب حنيا الى المياه ، أو الى الجبال بل ان قلبي فارقني واخاله أحيانا أفلت من صدري وسبقني الى اليم الفسيح ليتلاشى بين أمواجه المضطربة الهوج ·· كهذه العوالم التي نراها عن بعد تنحدر الى ظلمات الليل الاثيرية » ··

وترنو بعينها نحو السماء الزرقاء فترسم لنا صورة عن سماء الشرق الصافيةفكأنها راهبة ترتل أنشودة اعجاز الخالق وعظيم صنعه حيث تهمس شفتاها بهذه الكلمات **« ماذا أرى في القبة الزرقاء ؟ أرى الكواكب تظهر في جلد السماء الشاحب ، أرى الزهرة اليانعة أخاها الفتى وما أحيلاه أخا !! ·**

القمر في ريعانه يستعد للغروب

القمر الذي أهواه حتى العبادة

القمر الذي أراه دوما في ليالي لبنان

يا رسول العواطف وملتقى الرغبات ! يا معزى البؤساء وسميرهم تشاركهم أحلامهم وتصغي الى شكواهم بصمت وتلاطفهم باشعاعك السني » ···

وتستقبل الربيع وأزاهيره فتتمتم شفتاها بأبيات بعنوان : « **سيدونا** » **(أحب حرارة شمس الربيع ، وأحب أزاهيره البيضاء والحمراء والزرقاء ، واهوى دندنات الطبيعة الخافقة غير أن قلبك يا سيدونيا لاشد حرارة واتقادا لانه يضرم قلبي) ··**

وهكذا كانت أديبتنا عاشقة ولهى تهيم حبا بتلك الطبيعة الخلابة بين بوادي الشام وعلى ضفاف النيل الخالد· تحتفي بها في كل فصل من فصولها وتتطرق اليها في كل موضوع تتناوله فهي تستمدمنها قوة التعبير ووضوح المعنى وصفاء العقل ، كانت تحبها في صفائها وهياجها ، تميل الى الوحدة لتستمتع بهدوء الى مناظرهاوشذى أزاهيراها التي تتمايل مع النسمات في هاتيك الحقول الشاسعة فتحدثنا عن ذلك حيث تقول :« **أحب أن أحلم منفردة تحت السماء الساكنة الصافية ·· أحب عد الحصى التي تطؤها قدماي وأزاهير الحقول التي أصادفها على الطرقات ، أني لاجد عذوبة أن أنية في الغابات عندما يغشى للغسق الوادي ، وأن أسمع همس الالهة مرنمة حول الينبوع » ·**

ان تعلق « مي » بالطبيعة له أسباب كثيرة بعضها نفسي فلقد فطرت هذه الفتاة على طبيعة حساسة ، وخيال مترف ، وحس مرهف ان أمثالها ليصطنعون الطبيعة بأزهارها وسهولها ويعشيونها فيمخيلتهم وان شحت الطبيعة من حولهم · وهكذا نجد أن حب « مي » وولهها بالطبيعة شيء فطرت عليه، تدفعها اليه تلك النفس الحائرة التي وجدت معها ·· هذا من الناحية النفسية · وهناك نواحي أخرى جعلتها تتوق ولها اليها، فلقد استقبلت عيناها النور بين تلال الناصرة وأزاهيرها فلا عجب أن نجد أن حب الطبيعة وحب الناصرة لايتجزأ عند « مي » كذلك كان لقراءاتها الكثيرة للادباء والشعراء الفرنسيين الدور الكبير في توجيه عواطفها حيث كانت الرومانسية الحالمة هي ما تميز الادب في تلك الحقبة عند أولئك الشعراء والادباء ، تلك الرومانسية التي توهج شعاعها في القرن الثاني عشر ، وما زال حتى ذلك الحين ·

وهناك سبب آخر تمثل في حب « مي » للعزلة والميل الى الرهبنة ، وهذا بطبيعة الحال ناتج عن ايمانها العميق وتعلقها بتعاليم الكنيسة فهي اذن تمجد الله حينما يذكر لسانها تلك العطايا التي أسبغها الله على الكون · كل هذه الاسباب وغيرها جعلت من « مي » تلك العاشقة الشغوف التي تهيم حبا عندما ترى شجرة وارفة الظلال أو سهلا فسيحا أو أزهار الروابي ، عندما تداعبها نسيمات الربيع·

منتدى « مي » الادبي

ان من يدرس الادبية « مي زيادة » لابد أن يتطرق الى منتداها أو صالونها الذي أقامته في عاصمة المعز ، والذي كان من رواده الكثير من الادباء والساسة وكبار القوم فلقد حدثنا **العقاد** عن أولئك الذين يؤمون منتداها حيث يقول « **كم كان زوار تلك الندوة العالية ، وكم كان كتاب الرسائل منها واليها انني أعد من رأيتهم فيها غير مرة نحو الثلاثين** » ولقد عددهم **العقاد** وكان منهم **أحمد شوقي** و **خليل مطران** و **أنطون الجميل** و **هدى شعراوي** و **شبيلي شميل** و **لطفي السيد** و **اسماعيل صبري** و **طه حسين** و **مصطفى صادق الرافعي** و **حافظ ابراهيم** و **يعقوب صروف** و **سليمان بستاني** وغيرهم والواقع أن منتدى « مي » لم يكن بدعة في تاريخ الادب العربي . فلو تصفحنا كتب التراث فسوف نجد الكثير من النساء كانت لهن منتديات يجتمعن فيها بادباء عصرهن وعظمائه سواء في الجاهلية أو في الاسلام ومنهن « **هند بنت الخس** » وهي الزرقاء و « **جمعة بنت حابس** » وكذلك « **أم جندب** » زوجة « **أمرىء القيس** » و « **عمرة** » أمرأة « **أبي دهبل** » وغيرهن ممن لا يتسع المقام لذكرهن .

وكان منتدى « **مي** » يعقد يوم الثلاثاء حيث يقدم مريدوها بشوق لمجالستها ومحادثتها. كان مجلسا لا تسمع فيه الا الحكمة الصائبة والقصيدة العصماء .
ولقد تعلق الادباء بها . ولم يكن ذلك الا لعفة لسانها ، وفصاحة بيانها ، واستنارة عقلها ، وفي ذلك يقول **اسماعيل صبري :**

ان لم أمتع بمي ناظري غدا
أنكرت يومك يا يوم الثلاثاء

وها هو ذا **أمير الشعراء** يتأملها وقد كلل الشيب رأسه ويتمتم في خاطره هذه الابيات :

اسائل خاطري عما سباني
أحسن الخلق أم حسن البيان
رأيت تنافس الحسنيين فيها
كأنهما لمي عاشقان
اذا نطقت صبا عقلي اليها
وان بسمت الي صبا جناني
وما أدرى اتبسم عن حنيني
الى بقلبها أم عن حناني
أم ان شبابها ارثى لشيبي
وما أوهى زماني في كياني

وها هو **العقاد** يصف لنا أنطباعاته عن تلك الندوة فهو يقول :

« **وكان ما تتحدث به مي ممتعا كالذي تكتب بعد روية وتحضير ، فقد وهبت ملكة الحديث في طلاوة ورشاقة وجلاء ، ووهبت ما أدل على القدرة من ملكة الحديث وهي ملكة التوجيه وادارة الحديث بين مجلس المختلفين في الرأي والمزاج والثقافة والمقال ، فاذا دار الحديث بينهم جعلته « مي » على سنة المساواة والكرامة وأفسحت المجال للرأي القائل وللرائي الذي ينقصه أو يهدمه ، وانتظم هذا برفق ومودة ولباقة ولم يشعر أحد بتوجيه الكلام منها وكأنها تتوجه من غير موجه وتنتقل بغير ناقل وتلك غاية البراعة في هذا المقام** » ..

« مي » كاتبة ومترجمة وخطيبة

لقد دخلت « مي » وهي بعد طفلة الى لبنان حيث درست اللغةالفرنسية وقد تشبعت بهذه اللغة حتى أتقنتها وأكثرت من قراءة الشعر الافرنسي وقد شجعتها تلك الثقافة على الاقدام فأنتجت ديوانها الاول « **أزاهير حلم** » وهو شعر باللغة الفرنسية ترجم فيما بعد الى اللغة العربية كذلك ترجمت لبعض الشعراء الفرنسيين وأجادت اللغتين الالمانية والانجليزية . وكان من تراجمها في هذه اللغات « **ابتسامات ودموع** » عن الالمانية و « **رجوع الموجة** » عن الفرنسية و « **الحب في العذاب** » **عن** الانجليزية . أما في اللغة العربية فقد كتبت بها الكثير كالمقالات الوطنية ، وكذلك في مجال الدراسات الاجتماعية والوطنية ،ومن هذه المؤلفات « **سوانح فتاة** » . « **كلمات وأشارات** » . « **الصحائف** » . « **المساواة** » . **بالاضافة الى** دراستها الادبية والتقدمية التي ظهرت في مؤلفاتها عن « باحثة البادية » و « وردة اليازجي » و « عائشة تيمور » . هذا فضلا عن محاضراتها الكثيرة وخطبها التي ألقتها من على منابر الجامعة المصرية الاهلية والجامعة الامريكية في بيروت ، وغيرها من المحافل الادبية .

أخيرا : ذبلت الزهرة

لقد عاشت « مي » كزهرة وذبلت كما تذبل الازهار عدما يزحف اليها الخريف ، فأصيبت بلوثة عقلية اكدها البعض وأنكرها البعض الآخر، لقد انتهت بعد حياة عاشتها تمجد الله وتشدو بالطبيعة وترفع من ذكريات وردية وأخرى شاحبة كأنها الموت نفسه ! ..

العباس بن الأحنف

• اخلاقه وفكره •

د. عاتكة الخزرجي

كان العباس بن الاحنف « شديد الترف ، ظاهر النعمة ملوكي المذهب ، فاره المركب ، مكتملا أسباب الجاه ، عليه سيماء العز والامارة ، حتى ان أبا الفرج يروي لنا في أغانيه أنه وجد بعض شعر العباس في خراسان مكتوبا عليه : شعر الامير أبي الفضل العباس بن الاحنف » .

وكان العباس مترفعا لم يسخر شعره في رغبة ولا رهبة وكان كريما متلافا لا يكاد يمسك ما بيديه . ترى فيم كان ينفق العباس ما بيديه ؟ الراجح الثابت أنه كان ينفق أكثر ما ينفق في أسباب الترف وفي مجالس الشرب، فديوانه يذكر لنا غير مرة أنه كان من هواة الشرب وواحدا ممن كانت تعمر بهم مجالس السماع واللهو ، ولو لم يكن له غير قصيدة في الكرة والصولجان لكان حسبه ، فالنصف الثاني منها صورة حية من هذه المجالس اللاهية للطبقة البغدادية المترفة ، العائشة في القرن الثاني للهجرة، وأنت واجد في ديوان الرجل من حين لحين ذكر الراح والشرب والسماع والملهيات :

ذكرتك بالتفاح لما شممته
وبالراح لما قابلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سوالفا
وبالراح طعما من مقبلك العذب

أو :

ألا رب يوم يا ظلوم قطعته
بملهية حسناء يعظمها الشرب
فأقسم ما خانتك عيني بنظرة
اليها ولا كفي ولا خانك القلب

أو :

يا أيها الساقي أدر كأسنا
واكرر علينا سيد الاشربات
واسق سعيدا وابن بشر أخا
شيبان من أكؤسك المترعات

الا أن حبه للشراب على ما يرويه لنا الحصري كان معتدلا ليس فيه اسراف أو تبذل أو خروج عما يحفظ المروءة والشاعر يخبرنا مرة أنه هجر الندامى لئلا يحول الشراب دون ما يحب لنفسه من الكرامة :

هجرت الندامى خشية السكر انما
يضيع الفتى أسراره حين يسكر

وكما ترى طائفة من مؤرخي الادب أن العباس « كان رقيق الحاشية ، لطيف الطباع » .

يذكر لنا صاحب الاغاني أن في طبع العباس حدة ولعل هذه الرقة المفرطة هي السبب المباشر لذلك . اسمع هذه الرواية يرويها لك صاحب الاغاني عن ابن سلام عن جحظة قال :

« ... كان في طبع العباس ابن الاحنف حدة واتفق أن ضرب غلاما له وأقسم أن يبيعه فلقي غلامه فوزا وسألها أن تشفع له عند مولاه فكتبت اليه بذلك فقال العباس :

يا من أتانا بالشفاعات
من عند من فيه لجاجاتي
ان كنت مولاك فان التي
قد شفعت فيك لمولاتي
ارسالها فيك الينا لنا
كرامة فوق الكرامات

وليس هناك سمة أدل على العباس من سمة الظرف ، فقد كان العباس بن الاحنف من الظرفاء – كما يقول صاحب الاغاني – وللظرف سمات وألوان يحددها العصر الذي عاش فيه العباس ، ولعل الوشاء في موشاه خير من يمثل لنا هذه الطبقة المترفة العائشة في القرن الثاني للهجرة (انظر الموشى) بكل ما فيها من ملامح وسمات أبرزها ما تتميز به من ترف بالغ في المظهر والجوهر فهي تتأنق في الملبس والمطعم والمأكل والمشرب والمركب وهي الى ذلك تتأنق في المجلس وترعى آدابه وتحسن التلطف الى الجلاس وتتأنق في الحرف اذ تتخذ منه الاعف الانبل وتترفع عن الحوشي والسقط . وهي بعد ذلك خير من يحسن مجاملة النساء والتودد اليهن كما أن هذه الطبقة كانت عفة الظاهر والباطن ، مفرطة في التهذيب ممعنة في الرقة ، ولا أراني مبالغة لو قلت لك ان الظريف البغدادي في القرن الثاني للهجرة بكل ما فيه ليبز الباريسي اليوم ابن القرن العشرين وسليل الحضارة المعاصرة ، لانه كان يمتلك اللطف والرقة والتادب من جهة ، والمثل العليا والخلال الكريمة التي يفتقر اليها الباريسي من جهة أخرى .

ان مؤرخي الادب جميعا يؤكدون لنا ظرف العباس ، فهذا ابن المعتز في طبقاته يقول لنا :

« وكان شاعرا ظريفا ومفوها منطقيا مطبوعا ، وكان يتعاطى الفتوة على ستر وعفة ، وله مع ذلك كرم ومحاسن أخلاق وفضل من نفسه » .

ان كلمة الفتوة التي تعني المروءة تدعونا أن نقف عندها قليلا متسائلين : أكانت تعني الظرف في هذه الفترة من الزمن ؟ .

يؤكد لنا الحصري من جانبه أيضا ظرف العباس اذ يقول في معرض الحديث عنه : « ... وكانت فيه آلات الظرف جميعا : كان جميل الوجه ، فاره المركب ، نظيف الثوب ، حسن الالفاظ ، كثير النوادر ، رطيب الحديث ، باقيا على الشراب ، كثير المساعدة ، شديد الاحتمال » .

وواضح أن رجلا مثل هذا لا يمكن أن يكون فاسقا وقد أكد لنا ذلك بصريح العبارة صاحب الاغاني (٨ : ٣٥٣) : « وكان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء ، وكان غزلا ولم يكن فاسقا » .

والديوان كله شاهد على عفاف الرجل :

أتأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر
[illegible] طال الجلوس به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

أو :

فيا رب لا تشمت بنا حاسدا لنا
يراقبنا من أهل فوز ولا أهلي
وما بيننا من ريبة فيراقبا
ولا مثلها يرمي بسوء ولا مثلي

أو يقول :

وما يرى في وصال اثنين قد شغفا
ما لم يميلا الى الفحشاء من عار

وكيف لا يكون عفيفا من يرى في حبه ، آية يتقرب بها الى ربه يوم الحساب أو يرى فيه طريقه الى الشهادة ؟

أستغفر الله الا من مودتكم
فانها حسناتي يوم ألقاه

أو يقول :

فلئن هلكت لتصبحين أثيمة
ولأرزقن شهادة المتشهد (١)

والعباس يصرح لنا بملء فيه أنه ودود للمرأة كليف بها معني بأمرها :

يا بني آدم تعالوا ننادي
انما نحن للنساء عبيد
من يلمني على النساء ألمه
أنا والله للنساء ودود

---

(١) ديوان العباس (تحقيق د. ع. خ.) ١٦٨ : ٢٧

من الواضح أن ما ورد أعلاه من شواهد تنقضه هذه الابيات :

ولطالما مزجت بريقي ريقها — كالماء صفق بالسلاف المزبد — ٨ : ٨٨٨
وأنا امرؤ حلو الشمائل همتي — في قطف رمان الثدي النهد — ٨٤ : ٧٤١
يا ساقي الماء من فيه وشاربه — من في معانقة أفديك من ساق — ١٤ : ٧٤١

أتكون هذه الابيات قد نسبت الى الشاعر أو دست عليه ؟ (انظر الفصل المكتوب حول النحل من رسالتنا عن العباس بالفرنسية)

ولا شك أن الاعجاب متبادل بين الشاعر والمرأة فهي دون أدنى ريب تبادله اعجابا باعجاب ولطفا بلطف :

يا رب جارية أسبلت عبرتها
من رقة ولغيري قلبها قاس
كم من كواعب ما أبصرن خط يدي
الا تشهين أن يأكلن قرطاسي

أو :

ولو اني أشاء لواصلتني
ذوات حجى الى وصلي صوادي
عقائل من بنات أبيك صور
الي ذوات عطف وانقياد

أو :

وأرى الكواعب يفتنمن وسائلي
لولاك كان لبعضهن تموددي

وفيم يقول لنا العباس هذا ؟

أهو غرور الرجل الشاب باقبال الحظ عليه والتفاف الحسان من حوله ؟ الاولى بنا ألا نقبل تعليلا كهذا طالما أن النصوص تفصح لنا بشيء من الوضوح عن أن العباس عمد لمثل هذا اثارة لغيرة صاحبته التي لم تجزه على حبه الا بالاعراض والاهمال .

ومن أين جاء سلطان العباس على النساء :

لسنا بحاجة الى أن نقول ان أسباب الوصول الى المرأة كانت مهيأة بطبيعة الحياة الحضرية في العصر العباسي ، ولاسيما في العصر الذي عاش فيه الشاعر أواخر القرن الثاني للهجرة .. فقد تخلى العرب عن كثير من القيم نتيجة اختلاطهم بالاعاجم وتحرروا لا بل تحللوا من كثير من التقاليد العربية ، ودخلت العناصر الاجنبية دماءهم فلم تبق نقية ، ولا عجب أن رأينا ما رأيناه من انحراف عن النهج العربي وزيغ عن التراث الخلقي القويم .

ومهما يكن من شيء فاختلاط العباس بالنساء على اختلاف طبقاتهن كان سهلا ميسرا ، ثم ان شاعرنا كان ممن رزق صفات كثيرة تحببه الى المرأة ولعل أخصها سحر البيان وقوة المنطق والمقدرة على الاخذ بلب السامع .

ولعل صاحب الاغاني خير من يرسم لنا صورة من فصاحة العباس على لسان ابن أخته ابراهيم بن العباس الصولي :

« كان والله ممن اذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحا جميلا ظريف اللسان ، لو شئت أن تقول : كلامه كله شعر ، لقلت » .

ويضيف الحصري :

« كان أحسن الناس اذا حدث حديثا ، وأحسنهم اذا حدث استماعا ، وأمسكهم عن ملاحاة اذا خولف » .

وكان من الطبيعي بعد ذلك لرجل يمتلك أسباب البيان جميعا ، الى رهافة في الحس ، وتوقد في الذهن ، وحدة في العواطف ، أن يكون محبوبا في جميع الاوساط على ما فيها من تباين وتضارب .

و أظنك معي بعد ذلك في أن رجلا مثل هذا تهيأت له أسبابه جميعا لا بد أن يكون قريبا من النساء حفيا لديهن حبيبا الى قلوبهن .

فكر العباس :

المصادر على عادتها لا تزودنا بشيء من حداثة العباس ، والمرجع الوحيد لنا في مثل هذه الحال ديوان الرجل ، فنظرة متفحصة الى ديوانه تزيح لنا جانبا من الستر عن حداثة الشاعر ، ولعل أول ما يستوقف نظر الباحث الاثر القرآني فأنت واجد بين الفينة والفينة اشارة لقصة من قصص القرآن ، أو ذكر لبعض الاسماء الواردة فيه ، أو اشارة الى آية من آياته :

ولقد كتبت مع البغوم وانني
لأراه أنجح من كتاب الهدهد

أو :

ان وجدي بفقد فوز واشفاقي عليها والدهر دهر غشوم
وجد يعقوب بعد يوسف اذ بيض عينيه الحزن فهو كظيم
وسروري بأن أراها كما سر بمفدى اسحق ابراهيم

أو :

ليست لي كلما ذكرتك يا فوز نهارا أو حين تصغي النجوم
رقدة الراقدين في الكهف اذ روعي بالحفظ كهفهم والرقيم

أو :

فليت الوصل دام لنا سليما
وعشنا مثلما قد عاش نوح

أو :

كأنه يوم يأتيه رسولكم
قد نال ملك سليمان بن داود

أو :

ألان لداود الحديد بقدرة
مليك على تيسير قلبك قادر

أو :

ألم تر داود النبي هوت به
جبال الهوى فيما سمعت أو اسمع

أو :

أما والذي ناجى من الطور عبده
وأنزل فرقانا وأوحى الى النحل

أو :

سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف
فان قميصي لم يكن قد قد من قبل

أو :

وقد أمنا على أسرارنا نفرا
كانوا كأولاد يعقوب يخونونا

أو :

لو تسمع الطير ما تشكو عكفن بنا
كما عكفن بداود الذي افتتنا

ونرى العباس مؤمنا ببعض ما يؤمن به الروحانيون كأن نراه يتلو بعض آي من القرآن يرقى بها صاحبته من « عين » أصابتها :

قرأت « حاميم » وعوذتها
« بالطور » طورا ثم « بالغاشيه »
يا رب فاسمع واستجب دعوتي
عجل الى سيدتي العافيه

وما دامت ثقافة الشاعر قرآنية فلا بد له اذن أن يؤمن بكل ما جاء في الكتاب العزيز فنرى الشاعر مؤمنا كل الايمان بالسحر والسحرة والرقى ٠

لو كنت أدري أنه ساحر
علقت تعويذا من السحر

أو :

وما زلن حتى نلن ماشئن بالرقى وحتى أصاخت للخديعة والختل

أو :

فلم تزل بالرقى حتى لقد تركت
ما بيننا مثل حرب النمر والاسد

أو :

قلت غداة السبت اذ قيل لي
ان التي أحببتها شاكيه
يا أيها القائل ما تشتكي
قال بها عين ترى باديه
فقلت عندي ان تشا رقية
٠٠٠٠ الخ

* * *

ومن يتأمل الديوان يجد أن العباس مؤمن بالقدر طالما يرجيء الامور اليه ويقرر عجزه ازاءه ٠٠ استمع الى الشاعر يفلسف لنا نشوء الحب ويرد ذلك الى القدر :

الحب أول ما يكون لجاجة
تأتي به وتسوقه الاقدار

أو :

يا من تعلقه قلبي ولم يره
اني دعاني اليك الحين والقدر

أو :

تعرض لي الهوى غرا
فشيبني على صغري
وكان هواك لي قدرا
فكيف أفر من قدري

أو :

فأكثروا أو أقلوا من ملامكم
فكل ذلك محمول على القدر

هذا الايمان المطلق بالقدر أثار على الشاعر نقمة المعتزلة فتمثلت في مكايدة أبي هذيل العلاف للشاعر وانحائه باللوم عليه أو الانتقاص من قدره ولعل ألوم ما يلوم عليه الشاعر جمعه بين التقى والفجور وكونه صاحب البيتين :

اذا أردت انتصارا كان ناصركم
قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر
فأكثروا أو أقلوا من ملامكم
فكل ذلك محمول على القدر

وكانت غضبة العباس لنفسه ، فاذا به يكيل للعلاف الصاع صاعين :

يا من يكذب أخبار الرسول لقد
أخطأت في كل ما تأتي وما تذر
كذبت بالقدر الجاري عليك فقد
أتاك مني بما لا تشتهي القدر

أما ذهنية الشاعر الدينية فلا تزال الحجب بيننا وبينها قائمة فنحن لا نكاد نزيح عنها الا ما كان له مساس بعاطفة الشاعر ، ولئن بدا الشاعر لنا متناقض الصور فان هو الا سبب من أسباب الحياة المعقدة ٠

وبعض أبيات الشاعر تترجم لنا عن روح تغلغل الايمان في أثنائها ، استمع الى الشاعر يفزع الى الله ضارعا اليه أن يمن على صاحبته بالشفاء :

يا منزل الغيث والمفرج للكر
ب ويا ذا الافضال والنعم
عجل شفاها وآمنن علي بها
واجعل فداها نفسي من السقم

وتحج صاحبته فيضرع الى الله مرة أخرى يسأله أن تعود .

وقد نرى الشاعر ينذر لله نذرا هائلا ان دام ما بينه وبين صاحبته من صفاء :

حجة ماشيا ، وتحرير ما أملك شكرا ، وما حييت أصوم .!

وأنت ترى معي أن هذه النذور من الاستحالة بمكان الا أنها تكشف لنا على ذلك عواطف الشاعر الدينية . ونرى الشاعر في موضع آخر ضارعا الى الله جل وعز بحرارة المؤمن أن يجمع روحه وروح صاحبته أو يعينه على احتمال ما لا يحتمل :

فيارب ألف بين قلبي وقلبها

...

ويا رب صبرني على ما أصابني
فأنت الذي تكفي وأنت الذي تعفي

وبينا يرى العباس مفرطا في تقاه اذا به يفجؤنا بعصيان يطمس كل ملامح الايمان فنراه يتحدى الدين غير عابيء بشيء ! أيشفع للعباس كون عاطفة الحب أقوى من كل عاطفة ؟

أستغفر الله الا من مودتكم
فانها حسناتي يوم ألقاه
فان زعمت بأن الحب معصية
فالحب أحسن ما يعصى به الله !

وحين تهجره صاحبته نراه يعتب عليها برفق خال من حرارة الايمان :

لو علمنا أن الصيام الذي ينسيكم وصلنا قلينا الصياما

ونراه مفتونا بصاحبته فتونا يملي عليه أن يقول :

ولو رآها نبي في رسالته
أحس من قلبه فيها بوسواس

ان مثل هذه الاحاسيس سطحية عابرة في ديوان الشاعر لا نكاد نلمحها حتى تتوارى .

ونرى الى ذلك للامثال في شعر العباس مكانا : ان هذه الامثال مستمدة من الشعر أو كتب الادب، واستعماله الامثال يزيح لنا الستار عن جانب من جوانب ثقافته المتعددة :

« عذرت لو لطمتني ذات اسوار »

★ ★ ★

وأنت تعلم أن العباس عاش في عصر اختلطت فيه الثقافات الاجنبية بالثقافة العربية ، فقد كان لثقافة اليونان والهند والفرس أثر في ثقافة العرب اذ ذاك ، وأنت تعلم دون أدنى ريب أن الترجمة بلغت أوجها في عصر المأمون . وعلى عهد الرشيد ، حيث كان العباس ، بدا أثر الثقافة الاجنبية واضحا في الآداب والعلوم وفي الحياة أيضا .

وليس من العجب بعد ذلك أن نلحظ أثر هذه الثقافات واضحا في بعض شعر العباس ، فالمحبان لدى العباس — على نحو ما تقوله النظرية القديمة — روح في جسدين :

قالوا قد اعتل من تهوى فقلت لهم
ويلي اذا لم أجد مثل الذي وجدا
فان خالقنا للحب مبتدعا
لم يفرد الروح لما أفرد الجسدا
فلن أصح اذا ما كان ذا سقم
ولن أعيش اذا ما استودع اللحدا

أو :

خلط الله بروحي روحها
فهما في جسدي شيء أحد
فهو يحيا أبدا ما اجتمعا
فاذا ما افترقا مات الجسد

أو :

قلبي وقلبك بدعة خلقا
يتجاذبان بصادق الحب

هذا البيت الاخير يتراءى لنا صدى لنظرية أفلاطون في الحب التي ترى أن انجذاب كائنين ، أحدهما الى الآخر ، انما يعود الى موائمة بينهما ومجانسة تعود الى عمق أعماقهما وأصل أصولهما في الازل ، ان هذه العواطف التي تشد مخلوقين وتجعل منهما واحدا انما تعود الى أسرار غامضة فقد الانسان مفاتيحها على مر الزمن ، ولا يذهبن بك الظن الى أن صدى النظرية الافلاطونية مقتصر على العباس وحده دون غيره انما أنت واجد صداها في شعر معاصريه ومن سبقه .

والعشق لدى العباس أشعة كاشفة أو بصيرة نفاذة تخترق الحجب : فهو يرى معشوقته حتى — لو تخفت عنه وراء حجاب ، وما على الشاعر أن يحال بينه وبين النظر اليها ما دامت روحها غير خافية على روحه :

بنفسي التي مرت بنا وهي تستخفي
فأثبتها قلبي وأنكرها طرفي
ولو لم ينلها الطرف لم تك روحها
لتخفى على روحي أمامي ولا خلفي

وقد نلمح في ديوان العباس ، على افتقاره الى الافكار الفلسفية ، بعض انعكاسات حول عبث الوجود وسراب الموجودات ، والنهاية الحتمية لكل البشر من ارتفع حظه منهم ومن خمل :

فان تلحظي حالي وحالك مرة
بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
تري كل يوم مر من بؤس عيشتي
يمر بيوم من نعيمك يحسب

ونظرة العباس الى الانسان والوجود نظرة قاتمة :

فهذا الوجود الى زوال ، وحياتنا ان هي الا يوم أو بعض يوم !

ان تقلب الانسان وخفته هما اللذان يشيعان اليأس في نفس الشاعر ولعل السبب ما يحسه في ثنايا نفسه المحبة من ثبات واخلاص لا يجزى عليهما بسوى التقلب والغدر :

وغيرها الزمان وكل شيء
يصير الى التغير والنفاد

ولعل خبرته السلبية في الحب هي التي أضفت هذه القناعة على نظرته الى الوجود والموجودات ، فهو لا يطمئن الى الناس ولا الى وجود الفضيلة أو الاخلاص فيهم :

وما هجروك من ذنب اليهم
ولكن قل في الناس الوفاء

فهو اذن خائب في حبه ويستملي فلسفته التشاؤمية من هذه الخيبة .

أقول وداري بالعراق ودارها
حجازية في حرة وسهوب
وكل قريب الدار لا بد مرة
سيصبح يوما وهو غير قريب !

ونحن اذا أمعنا النظر في شعر العباس نلحظ أثرا بينا للعذريين فيه كجميل بن معمر وعروة بن حزام والمرقش وكثير عزة ، ولك أن تقرأ معي ما أشير به عليك من ديوانه لتتبين مدى حظ هذا الزعم من الصدق .

ونجد كذلك في ديوان العباس صدى لبعض المعتقدات البدوية فنراه يتشاءم مثلا من صياح الغراب :

تعس الغراب لقد جرى بفراق
هلا جرى بتزاور وتلاق !

أو نراه يتفاءل أو يتشاءم من الجهات :

وقد كنت لما آذنتني بينها
ومرت بذاك البارحات الاشائم

وهو — على عقائد العرب — يؤمن أن ذكر اسم الحبيب يذهب عن الرجل الخدر :

يا قرة العين يا من لا أسميه
يا من اذا خدرت رجلي أناديه

وهو يعتقد كذلك بنبوءة الاحلام :

يا صاحبي الى رؤياي فاستمعا
اني رأيت لدى ضوء التباشير
كأن فوزا تعاطيني على فرس
اكليل ريحان فغو كالدنانير
الحمد لله هذا انها جعلت
في راحتي امرها يا حسن تعبيري
اني لمنتظر رؤياي ذو أمل
والحكم يأتي بتقديم وتأخير

وخرافات العصر وجدت طريقها كذلك الى الشاعر فهو على عادة طبقته من الظرفاء يتفاءل أو يتشاءم من بعض الورد أو بعض الفواكه ! فالآس عندهم من اليأس والورد نذير بالتحول لانه قصير العمر والاترج غير محمود لاختلاف بين مخبره وجوهره ! استمع معي الى هذين البيتين :

أهدى له أحبابه أترجة
فبكى وأشفق من عياقة زاجر
خاف التلون اذ أتته لانها
لونان باطنها خلاف الظاهر

والى هذين البيتين :

أصبحت أذكر بالريحان رائحة
منها فللنفس بالريحان ايناس
وأمنح الياسمين البغض من حذري
عليك اذ قيل في شطر اسمه الياس

والى هذين البيتين :

والله ما شبهت بالورد عهدها
اذا ما انقضى فيما تقول الاعاجم
ولكنني شبهته الآس دائما
وليس يدوم الورد والآس دائم

والى هذين :

ان الذي سماك يا منيتي
بالنرجس الغدار ما أنصفا
لو أنه سماك بالآسة
وفيت ان الآس أهل الوفا

والعباس يتشاءم من الخواتم لأنه يؤمن أنها نذير القطيعة فهو يرد الخاتم على مهديه طالبا اليه سواكا كبديل

ولما وهبتم خاتما فرددته
لمعرفتي أن الخواتيم تقطع
فأهدي سواكا مس فاك فانه
يسكن نارا في جوى القلب تلذع

مما تقدم بوسعنا أن نكون فكرة عامة عن فكر الرجل ورهافة حسه ورقة طبعه ، وقد نستخلص من وراء ذلك أن الرجل كان مهيئا بحكم هذه العوامل مجتمعة للخيال والشعر والحب « الرومنتيكي » الذي وقف عليه حياته وقلبه وشعره وفي هذا الشعر نلمح الاثر التقليدي الى جوار الاثر الافلاطوني الذي يبدو لنا أكثر عمقا وأبعد مدى ، لانه أقرب الى طبيعة الشاعر وأمضى في الدلالة عليها .

كلية الآداب — جامعة بغداد
الدكتورة عاتكة الخزرجي

اصطناع المعروف والوفاء بالجميل

عبد العزيز عبد الله الربيعي

يعود الفضل في كتابة هذه الكلمة الى أخي الكبير الاستاذ الجليل مسلم بن عبد الله المسلم ، فهي مهداة اليه وإلى كل من تتجسد في أعماله قبل أقواله شيم هذه الامة ومثلها الكريمة .

لهذه الامة مكارمها وفضائلها ومقومات وجودها ثبت لها عبر التاريخ والاجيال وطبعت انبعاثاتها وانتفاضاتها وعرفت بها بين الامم حتى أصبحت متميزة بهذه الفضائل والمقومات وهي ولا شك صنع أفراد وجماعات هيأتهم فطرهم السليمة لبلوغ الغاية الجليلة في هذه الحياة وهم - بحكم الندرة - في الكمال والكرم قلة ولكن مشيئة الله جعلت صلاح الكثرة مربوطا بصلاح القلة فمتى صلحت القلة صلحت الكثرة وارتفاع الخاصة يعني بالتالي ارتفاع العامة .

جاءت هذه الصفوة متفاعلة مع تربتها ، وبيئتها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وكنوزها الكريمة الموروثة وما مر بها من أحداث أو صادفها من محن وكوارث أو من مباهج ، وانتصارات .. فهي لهذه الاسباب من أعرق الامم أصالة وكيانا ووجودا وجهادا . صحت لها خلال تاريخها الطويل مكارم وفضائل ، ومقومات لم تصح لغيرها من أمم الارض ، استطاعت أن تحتفظ بأصالتها وشخصيتها وعزتها منذ فتوحاتها الاسلامية الكبرى والى يومنا هذا . بل أن العرق الصافي الذي أمتد في صلبها منذ وجدت على هذه الارض قبل التاريخ المعروف وبعده ما يزال هو العرق الصافي لم يمس جوهره وأصالته ما طرأ عليه من عادات وتقاليد الامم الاخرى ، وهذا سر من أسرار خلودها .

نخلص من هذه المقدمة التي ألمعنا فيها الى شيء من أصالة الامة العربية لندخل فيما نريد الحديث عنه :

من مكارم هذه الامة الخالدة : اصطناع المعروف . والعرفان بالجميل .

يقول الاحنف بن قيس سيد بني تميم : (ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الاحساب والآداب) . وقال آخر :

ولم أر كالمعروف أما مذاقه
فحلو ، واما وجهه فجميل

وقال عمرو بن الاهثم من قصيدة طويلة له في هذا الموضوع :

أضفت فلم افحش عليه ولم أقل
لا حرمة : ان المكان مضيق

فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا
فهذا صبح راهن وغبوق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى
وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

وقال حاتم :

وقائلة أهلكت بالجود ما لنا
ونفسك حتى ضر نفسك جودها
فقلت : دعيني انما تلك عادتي
لكل كريم عادة يستعيدها

وقال آخر : لست أرى أحدا تواضع في امارة الا وهو في نفسه أكبر مما ناله من سلطانه ٠ والشاعر أبو الوليد الاعرابي يقول في هذا المعنى :

ولست بتياه اذا كنت مثريا
ولكنه خلقي اذا كنت معدما
وان الذي يعطي من المال ثروة
اذا كان نذل الوالدين تعظما

من هذا نفهم مدى شعور العربي باللذة والسعادة عند اصطناع المعروف وان اصطناع المعروف عادة قد تأصلت في نفسه ــ فالكثير منهم لا يجود اداء لواجب أو طاعة لقانون أو خوفا من قدح أو طمعا في مدح ، وانما يجود لان الجود سجيته وشيمته ، يجود ليشبع في نفسه رغبة ويدخل عليها مسرة وهذه هي والله الغاية القصوى في فضيلة الجود ، في حين تحتاج الشرائع والقوانين على حمل الناس على اداء واجبهم المفروض تارة عن طريق الزكاة وأخرى عن طريق الضرائب لتحقيق منفعة الجميع ٠

والكريم عندهم هو الذي يجود وما عنده قليل ويسخو بكل ما يملك وهو في أشد الحاجة اليه ، وهذا أكبر دليل على تأصل هذه الصفة في نفوسهم ٠٠

ولقد قال أحدهم :

جهد المقل اذا اعطاك نائلة
ومكثر في الغنى سيان في الجود

كما قال المقنع :

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

وقال آخر :

سأقدح من قدري نصيبا لجارتي
وان كان ما فيها كفافا على أهلي
اذا أنت لم تشرك رفيقك في الذي
يكون قليلا لم تشاركه في الفضل

ومن سمات كرمهم أنهم لا يمنون به ، ولا يذكرون صنيعهم ولا يفخمونه ، بل يحقرونه وهم يعلمون أن المن يبطل ما فعلوا ويشوه الخير الذي قدموا ومن أمثالهم (احي معروفك باماتة ذكره ، وعظمه بالتصغير له) ٠

وما أحسن قول عروة بن الورد العبسي في المروءة والايثار حين قال :

أتهزأ مني ان سمنت وان ترى
بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
واني امرؤ عافى انائي شركة
وانت امرؤ عافى انائك واحد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد

والعرفان بالجميل خلة جميلة وشيمة كريمة من شيم العرب ، وقد يكون العرفان هو الوفاء وقد يكون الوفاء هو العرفان، والوفاء أو العرفان هو أن تذكر الخير لمن أسداه لك ولا ينسى ذلك الا اللئيم، ورحم الله أبا الطيب حين قال:

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم
ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

أسوأ مافي نكران الجميل انه كفيل أن يهز في أعماق الكثيرين ايمانهم بفعل الخير ، ويثير في نفوسهم تساؤلات عديدة عن جدوى مساعدة الغير اذا كان هذا الغير هو أول من يعض اليد التي تقدمت اليه بالعون ، وعندما تأتي الطعنة من يد كان لك فضل ظهورها يكون الاحساس بالالم أكثر مرارة وأقسى على النفس ٠

وقد مر الكثير منا بمثل هذه التجربة القاسية عندما نرى أن اليد التي ساعدناها على النهوض وعاوناها على الوقوف هي أول يد تتقدم لترد لنا الجميل بطعنة قوية ٠٠ تلقي بنا في هوة عميقة ٠٠
اننا لا نطلب ممن قدر لنا أن نمد اليهم يد العون أن

يردوا الجميل بمثله ٠٠ ولكننا نرجو فقط أن يمتنعوا عن مقابلة الخير بالشر ٠٠ والاحسان بالاساءة وان يمنعوا أسنانهم من أن تعض اليد التي ساعدتهم في وقت المحنة ٠

وما أجمل ما عناه أبو الطيب بقوله :

انا لفي زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس احسان واجمال

ربما يكون من صنع الجميل لاينتظر شكرا ولا عرفانا وهذا هو غاية الرجولة الحقة التي ترى في اسداء الجميل عملا تلقائيا منبعثا من نفس يدفعها لفعل الجميل ـ كما قلنا ـ محبتها له ليس الا ٠٠

ولكن الله جل جلاله يحب اذا أنعم على عبده أن يشكر له نعمائه والله غني عن العالمين وانما أراد بحكمته الخالدة أن يقوم بين الناس الى جانب اصطناع المعروف ٠ العرفان بالجميل فمن الواجب عليك أن تشعر من أحسن اليك بالحمد والثناء ومن الواجب عليك أن تعبر له عما في نفسك من عرفان فليس أرق في الاذن من كلمة ثناء تلقى اليك ، ولكنها تترفع قيمتها كلما كان الصدق هو الدافع عليها ولها ٠

فاذا كان الصدق فيها قليلا كانت نوعا من المبالغة فاذا تجردت منه كانت تملقا ، اذا كانت ممن هو أدنى الى من أعلى فاذا اقترنت بمصلحة يرجى قضاؤها خرجت من نطاق التملق الى درجة النفاق ، وليس من المحتم أن يكون النفاق قائما على اضفاء صفة لا وجود لها فمن النفاق أيضا ماتكون الصفة المنسوبة فيه صحيحة تماما أو صحيحة الى حد ما وانما يجعلها من النفاق الظرف الذي تقال فيه ٠٠ والاسلوب الذي تساق به والحاجة المطلوبة التي هي المحرك الاول لها ٠ والتملق قد يكون من الموظف الاصغر الى الموظف الاكبر صاحب السلطة دون غرض واضح أو حاجة عاجلة ولكنه من قبيل حسن البصر وبعد النظر فانه لا بد أن يحتاج اليه ان لم يكن اليوم فقد يكون غدا ، ومن يدري ما يجيء به الغد ٠

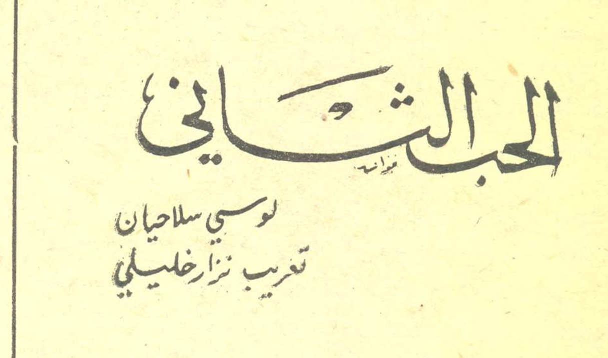
وهنا لا بد من الايضاح أكثر اذ ان التملق مع الاسف أصبح عندنا بضاعة رائجة أو سلعة مطلوبة لا يرى الكثير من الناس فيها غضاضة بل لعلهم يرون فيها حقا مقررا لمن هو أكبر أو أعلى على من هو أقل أو أدنى وهذا مع الاسف الشديد ، هو بعض ميراث الذل والخضوع الذي توارثه الناس منذ أجيال وأجيال وهو ولا شك دخيل عليهم ٠٠٠ فينبغي علينا محاربته والابتعاد عنه ايثارا للكرامة أو حفظا لماء الوجه على الاقل ووضعا للامور في موضعها الصحيح ٠ واذا كنا نرجو أن يكف الناس عن التملق والنفاق لما فيه من غض لكرامتهم وحط من انسانيتهم ، فالاولى بالرجاء والاقدر على منعه هم من بيدهم سلطان الامر والنهي اذ نأمل بأن يغضوا عنه ولا يهشوا له ولا يجعلوا لاصحابه منزلة عندهم بل يشعرونهم أنهم يكرهونه وينفرون منه فانهم ان فعلوا ذلك منعوا الناس من اراقة ماء وجوههم وقضوا على رذيلة التملق والنفاق ، وغرسوا في نفوس الناس العزة والكرامة التي افتقدها الكثير منهم وهي أعز ميراث خلفه السلف للخلف ٠

قلنا أنه من الواجب عليك أن تعبر لمن أحسن اليك عما في نفسك من عرفان ومن واجبك أيضا ألا تنسى فان القلوب الطيبة يأسرها الاحسان ، قد ينسى من قدم الجميل ما قدمت يداه ، ولكن عليك أنت ألا تنسى فان الذكر هنا توثيق للروابط بين الناس وتشجيع لهم على الاحسان ٠

بعض الناس ينسون ولا يذكرون الا يوم يحتاجون الى صنيع جديد فيغرقونك بالحمد والثناء المضاعف ثم يفضون اليك بحاجتهم الى معروف جديد ، وهؤلاء هم اللؤماء فاذا كنت لا تريد أن تكون منهم فحاذر ان تنسى جميل من أسدى اليك الجميل حتى لاتضع نفسك في موضع لا ترضاه لها ، والاكثر لؤما ـ كما قلنا ـ ان تقابل الاحسان بالاساءة وأن تجزي المعروف بالجحود والنكران ورحم الله أبا الطيب حين قال :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق ان لم تسعد الحال
وما شكرت لان المال فرحني
سيان عندي اكثار واقلال
لكن رأيت قبيحا ان يجاد لنا
واننا بقضاء الحق بخال
وكيف استر ما اوليت من حسن
وقد غمرت نوالا أيها النال
لطفت رأيك في بري وتكرمتي
ان الكريم على العلياء يحتال
لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال
انا لفي زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس احسان واجمال
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته
ما قاته وفضول العيش اشغال

الرياض : عبد العزيز بن عبد الله الربيعي



• ولدت الأديبة السورية السيدة لوسي سلاحيان في حلب ، وتلقت تعليمها في مدرسة اللاييك، ونظمت الشعر باللغة الفرنسية وهي في الثانية عشرة من عمرها ٠

• تكتب ، منذ عام ١٩٦٠ القصص باللغة الأرمنية ، وتنشرها في المجلات التي تصدر بهذه اللغة في حلب وبيروت وغيرهما ٠

• أصدرت عام ١٩٧٠ بحلب مجموعتها القصصية الأولى بعنوان « القلوب الحائرة » ٠

• ترصد في قصصها معاناة الحزن والحب والفرح وسائر العواطف والهموم الانسانية وذلك في رحلة شيقة عبر النفس بحثا عن صفاء الروح وشفافيته ٠ وهي تستوحي أفكار قصصها من المجتمع الذي تعيش فيه : المحيط الأرمني الصغير بحلب ، والمجتمع العربي الكبير في أسمى قضاياه : الوطنية ٠

• يلتقي في صالونها الأدبي الشعراء والأدباء من العرب والأرمن ٠ وقد احتفت فيه بالروائي العالمي الشهير وليام ساروبان ٠

• تقوم منذ حين باعداد مقابلات أدبية مع كتاب من سورية ، وتنشرها في المجلات الأرمنية ، تمهيدا لاصدارها في كتاب ٠

• وتعد لوسي سلاحيان الآن للطبع : مجموعة من قصصها باللغة العربية ، ومجموعة أخرى جديدة بالأرمنية بعنوان « حب بعده حب » ٠

الحب الثاني

قطع رنين جرس الباب المفاجىء سلسة أفكاري ٠ نهضت أفتحه ممتعضة ، واذا في الباب سيدة ذات شعر جذاب ... سألتني باسمة الثغر :

ـ ألم تعرفيني ؟

ذكرت البسمة والعينين،فلقد رأيتهما قبلا ٠ أمعنت فيها النظر هنيهة ، ثم ما لبثت أن هتفت ؟

ـ « تسوليك » !

وتعانقنا بفرح يشوبه الانفعال ٠

وهتفت هي بدورها :

ـ لحظة ، حتى أحسب كم سنة مرت قبل أن نلتقي !

فقاطعتها :

ـ ويحك ، والا كبرنا كثيرا !

قالت :

ـ بلهاء ! نكبر ؟ لا تنطقي بهذه الكلمة مرة أخرى!

وجلسنا متقابلتين ، نسترجع بشوق لهيف ذكريات الطفولة والشباب ... وتطارحنا الأسئلة كالمطر المدرار ... حتى اذا استنفدنا أشواقنا ، دار بنا الحديث فقادنا الى منعطفات الحب الخطيرة !

سألتني ، وعلى شفتيها ابتسامة غامضة :

ـ أتحبين « روبين » كما كنت في الأيام السابقة ؟

ـ طبعا ٠

ـ أشك في ذلك !

سألتها مستغربة :

ـ لماذا ؟

ـ بعد عشر سنوات من الزواج لا بد أن تخبو جذوة الحب تلقائيا ٠ وكل ما يمسي عاديا يكف عن أن يبعث المتعة !

ـ فلسفة رخيصة !

ـ فلسفة رخيصة ! حقا ؟ ألا قولي ، كيف يعبر كل منكما ، أنت وروبين ، للآخر عن شوقه وحبه ؟٠٠ بقبلة خاطفة ؟ بلمسة يد عابرة ؟ وكم مرة في اليوم ؟

ـ في اليوم ؟ قولي في الأسبوع ، في الشهر ٠٠٠ لقد أقلعنا عن مثل هذه الصغائر منذ زمن بعيد !

ـ أرأيت أذن ؟ !

ـ ليس بعد !

ـ انك ميتة حية ، « يا تامار » !

فسألتها مغتاظة :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعني انك لا تحبين ، فلقد انطفأت فيك شعلة الحب ، فما عادت تثيرك كلمات الغزل ، وما عاد يهمك حب روبين في شيء ٠٠٠ لم لا تتطلعين الى حب جديد ؟٠٠

ـ وهل فكرت فيه أنت ؟ ٠٠٠

ـ نعم !

فقفزت واقفة ٠ صرخت :

ـ تسوليك !

ـ ماذا ؟ هل خجلت ؟ هل جرحت مشاعرك كامرأة شريفة ؟ !

قلت وأنا الملم أشتات نفسي :

ـ استغربت !

ـ لماذا ؟

لأنني لا أومن بوجود حب ثان ، فالمرء يولد مرة وحدة ، ويحب مرة واحدة ، ويموت مرة واحدة !

فقالت تسوليك ساخرة :

فلسفة رخيصة ! (ثم أضافت جادة) ان رتابة الحياة لا تطاق دون تجديد للحب ٠ في يوم ما كنت مغالية مثلك ، كنت أظن أن الحب الكبير ، الحب الوحيد ، هو الحب الأول والأخير ٠

ـ مالذي غيرك ، اذن ؟

الحياة ، ياعزيزتي ٠٠٠ الحياة ٠

فرجوتها متلهفة :

قصي علي ٠٠

قالت وهي تأخذ نفسا عميقا :

ـ أمل أن تفهمي ٠

فأمنت على كلامها بايماءة من رأسي ٠

ـ لما بدأ ابني « سوريك » بالذهاب الى المدرسة بعد ما بلغ الخامسة من عمره ، أخذت فجأة أشعر بالوحدة والفراغ ، فكرت في أن أملأ وقتي ، فقررت ان أعمل،ولم يعترض « ستراك » على قراري ، وبدأت العمل ، وما زال الفراغ يحيط بي ٠ كان حب ستراك يرقد في أعماق قلبي كالبر الهادىء ، وأصبحت خلجات حبنا وحلاوة عناقنا في خفايا الماضي ٠ هو أب ، وأنا أم ، لا شيء سوى ذلك ٠٠٠ كنت أعمل مع « كالاتيان » في مكتب واحد ٠ لم يثر انتباهي بادىء الأمر ٠ لكني ما لبث أن لاحظت أن الغرفة كانت تمتلىء حرارة حين يتحدث ، فأستمع الى موسيقى هذا الصوت صامتة ، وأشعر براحة تحلق بي في أجواء من السعادة ٠ متى ولد حبه في قلبي ؟ لست أدرى ولكنه أحس بحبي الصامت له فتبدلت معاملته لي ٠ أصبح صوته أعمق وأكثر رقة حين يوجه الي الحديث وشمل حبي العميق الثائر كيانه أيضا ٠وفي أحد الأيام،حين انفردنا في الغرفة صدفة ، اقترب مني ووضع يديه على كتفي ٠ وقفت مذهولة وأنا أرتعش ، ولم ينطق بكلمة ، بل أخذ وجهي بين كفيه بلطف ، وتأملني طويلا ، ثم مال على شفتي يلتهمها ٠ كنت في تلك اللحظة أشبه بفتاة بريئة استسلمت لمشاعر أول حب لها ٠ نسيت الماضي ٠ اختفى الزوج والابن من خيالي ٠٠٠ استسلمت بكل جوارحي للقبلة التي أعادتني الى الحياة ٠ وشعرت كأن شفتي اللتين تفيضان بالرغبة أعادتاني الى أيام الشباب المرحة الحلوة٠ وارتميت في ملذات الحب التي فرضتها علي الرغبة النفسية العارمة ، ذلك الحب الذي بعث في الحياة والحبور ٠ واستولى هذا الرجل الرزين على جسمي البض وامتلكه ٠ نسينا الدنيا ونحن ننعم باللذات في أيام الربيع الرائعة ، منتشين بعبير الأزاهر ، بعيدين عن أعين الفضوليين ، وعشنا عيشة حب كاملة ٠٠٠

استهواني حب تسوليك الجديد ، أنا التي لم أخن الحب منذ زواجي ٠ لقد شل ازدهار حبها الجديد كل تفكيرى ، وكأن اعترافها لي بالحب الخاطىء قد حرك مشاعري الراقدة ٠ واه انني على استعداد للتضحية بنصف عمرى ، في سبيل استذكار حبي الماضي ، حبي الأول المفعم بالعواطف ، أن أحب بقوة الماضي ٠ وسرت نشوة الشباب في أعصابي ٠

أضافت تسوليك :

ـ الحب ياعزيزتي ، هو عماد الحياة المحملة بالمشاق

نظرت اليها بعينين زائغتين:ان حبها الخاطىء الحلو الثائر ، كان حبا خياليا أيقظ روحي الهاجعة ٠

ذهبت تسوليك ، وتركتني نهبا للفرح والاضطراب والأحلام والرغبات الملحة ٠

اتقدت في أعماقي الأشواق الى الحب التي كانت مدفونة تحت الرماد ٠ وفي الليل ، وأنا مستليقة الى جانب زوجي ، أخذت أفكر في الحبيب المجهول، الذي بت أنتظره، وقد نسجت حوله أحلاما ما ٠٠٠ رحت أتخيل حبيبا أضمه بذراعي الى صدري المحروم من الحب ٠

أن رتابة الحياة لاتطاق دون تجديد للحب ، كذلك قالت تسوليك ! فهل كانت حقا بحاجة الى أن تجدد حبها؟

وتذكرت رسائل الحب العاصفة التي كانت تتلقاها وتقرأها علينا في الصف سرا في أثناء الدرس ٠٠٠ وذكرت الثورة التي أعلنتها على ذويها في سبيل الزواج ممن أحبت! وقد حضرت حفل زفافهما !

أبدا، أبدا ، لن أنسى أمارات الحب الأول التي طفحت يوما على وجهها ! كيف يمكن لتلك النار المستعرة أن تخبو؟ الزمن ؟ متطلبات العيش ! لا أدرى ، لا أدرى ٠٠٠

أما أنا ، ألست متغيرة ياترى ؟ أين مسراتي الماضية وأيام أحلامي ؟ هل أنا سعيدة ؟ لقد أحببت بقدر ما أحبت تسوليك ، وربما أكثر ٠ ومازلت أحب ٠٠٠ ولكن تلك المشاعر الفياضة ٠٠٠ أحسب أن الحق مع تسوليك ٠ لقد تضاءل احساسنا بخلجات حبنا ، وكففنا عن تبادل الغزل العذب ٠٠٠ حبي لزوجي لم ينقص ، ولكنه يرقد هادئا ٠ قبلته لا تحرك في شعورا ٠ لقد أصبح تقبيله عادة رتيبة٠ كل ما يمسي عاديا يكف عن أن يبعث المتعة ٠ وأنا أنا أريد أن أحب مثل تسوليك ، كالسابق تماما ، بعنف وحيوية ٠

وانبثق في الحب الحالم ليشعل كياني كله ٠ حلمت بشاب طويل القامة ، أسمر ، جميل الطلعة ٠ وبينما كان زوجي يغط في نومة الهادىء البرىء ، كنت أسبح في الأحلام الطائشة الجنونية ، كنت أرتمي أسيرة في أحضان موربيوس لقد انقسمت الى نصفين وأنا أتخبط في هذه الأوهام المختلفة والحق ، لقد تداخل ، مع الرجل الثاني الغريب عن زوجي وولدى ، شخص يعدو نحو الماضي بلا توقف ، متحللا من الواجبات العائلية ، باحثا عن عوامل طفولته الضائعة ٠

لقد بدأت بحثا غامضا وأنا فاقدة الصبر ٠ وفي بحثي كنت أرسم صورة حب جديد في مخيلتي ٠

ووقعت المعجزة ٠

في أمسية أدبية تعرفت اليه ٠ كان رجلا ذا تأثير لا يوصف ، وشعر وخطه الشيب ، أسمر ، طويلا ، ذا عينين سواداوين عميقتين كالبحر ٠

نظرت اليه ذاهلة معجبة ، جامدة منجذبة ، كأن لحنا ساحرا يسري بمصاحبة البيانو ٠ فسألني باسما مداعبا :

ـ هل في شيء شاذ ؟

ـ لا ، أبدا ، بالعكس !

أجبت بذلك ، وقد أذهلتني المفاجأة ، واحمر وجهي كفتاة في السابعة عشرة من عمرها ٠

قلبت نظرته كياني ، واستولت على أعماق روحي ، وجعلت جسدي كله يرتعش ٠

هل فهم رغبتي الجنونية ؟ هل علف بلاهتي ؟

شغلني هذا الرجل ، المفكر الكاتب الشهير«يرانيان»٠

في تلك الليلة، استسلمت للأشعار الخرافية الأسطورية وضاعت روحي ، سكرت بأوهام الرؤى وفقدت السيطرة على ذاتها ٠ استهوتني صفاته السامية ، وذوقه الرفيع ٠٠٠٠ وكنت على يقين من أنني أحسنت الاختيار ٠ نظراته، ولمسات يديه ، بعثت في الحبور ٠ وجودي معه ، ولاستماع اليه كان يبعث في سعادة لا توصف ٠٠٠

* * *

كنت أمضي الى وادي الحب، حين قابلت تسوليك ثانية٠ اقتربت منها ببسمة تعبر عما يختلج في صدري وهمست في أذنها وأنا أقبلها ، وأتهيا للاعتراف لها :

ـ كيف حال حبك الثاني ؟

فأطرقت تسوليك برأسها حزينة ، وقالت :

ـ مات ! الحب الثاني قد كتب عليه الموت منذ مولده ياتامار ان ما نلمسه ونعانقه ونقبله ، ليس حبا ، لا ٠٠٠ الحب في سن النضوج هو خداع للنفس ومحاولة استرداد للثقة ، ورغبة في الاحساس بالشباب ٠٠٠

وقعت كلمات تسوليك علي ، وانتثرت كما تنتثر وريقات وردة في صميم خيالي ٠

لقد تهدم صرح حبي فوق رأسي ، قبل أن يعلو بنيانه الحب حلم شباب ينسجه خيالنا الواسع ، حلم برىء في روحنا النقية ، ذو معنى عميق ٠٠٠ وما عدا ذلك أمور تتكرر ، وحرقة ٠

لوسي سلاحيان
حلب

جوانب خفية لم تنشر عن العقّاد

اعداد : حميد مجيد هدو

عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

شاءت الصدف أن أكون في القاهرة والصحافة المصرية تحتفل بالذكرى الحادية عشرة لوفاة الكاتب الخالد أبي العبقريات الاستاذ عباس محمود العقاد ونظرا لما يحتله هذا المفكر الاصيل في نفوس العرب والعراقيين خاصة من مكانة مرموقة ملؤها التقدير والاعجاب والاجلال سرني أن أجرى لقاء أدبيا عابرا علني أستطيع أن أسهم مع من أسهم في تخليد هذا الاديب الكبير وان أفيد القارىء العربي بعض الفائدة المتوخاة لأن تخليد العظماء واحياء ذكراهم دروس بليغة للاجيال في استجلاء جوانب المجد والحضارة لامتهم العريقة في الحضارة ووفاء من الخلف لما قدمه السلف الصالح ٠

ولقد توسمت الخير في اجراء هذا الحديث عساني أكون قد كشفت بعض المجهول من حياة هذا المفكر العربي الشامخ الذي ملأ الدنيا بمؤلفاته ومقالاته وبحوثه وقصائده وجملة آثاره الادبية والفكرية وشغل الناس في عصره بآرائه واستقراءاته في كل مجال من مجالات المعرفة والثقافة وفي اعتقادي أن ذلك لا يتحقق الا لانسان عاش حياة طويلة مع أستاذنا العقاد كي يوقفنا على حقائق الامور ويسردها لنا هي هي دون تحريف أو زيادة أو نقصان ولا نرى أحدا أجدر بذلك من الصديق العزيز الاستاذ عامر أحمد محمود العقاد ابن أخ العقاد وملازمه ملازمة الظل فأجرينا هذا اللقاء متجنبين الاسئلة التي نعتقد في اجابتها تكرارا لما هو منشور في حياته — رحمه الله — أو بعد وفاته انما حاولنا جهد المستطاع أن نجعل الاسئلة تدور حول تبيان ما هو بكر وجديد وغير منشور قدر الامكان ، فأجابنا الاستاذ عامر مشكورا على أسئلتنا ، مقدرا مواقف أدباء العراق واتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين من أدب العقاد وفكره الخصب النير وشعره العربي الاصيل ٠

س : بعد وفاة العقاد نشر الاستاذ رجاء النقاش في احدى صحف القاهرة خبرا مفاده أن المرحوم العقاد خلف بنتا غير شرعية ، وهذا اتهام باطل وفرية مختلقة كاذبة عن الكاتب العملاق فهل لكم أن تدلوا بالحقائق لمن ينشدها ٠

ج — ظل العقاد بعد استقالته من قلم المطبوعات يعاني من شظف العيش وقلة ما في اليد، ولكنه صمد كالجبل الاشم لا يتزحزح ولن تلين له قناة منطلقا بذلك من قوة الايمان بهذا الشعب واقرار حقوقه المهضومة على أيدي الانكليز وأعوانهم وتلامذتهم فهو كما عرف عنه من صلابة في العقيدة وقوة شكيمة في الرأي وصبر عند الشدائد والملمات وعداء لكل جبار متجبر وخائن متكبر ٠ في ظل تلكم الظروف القاسية الدقيقة آثر الضنك مع الكرامة على الترف مع الذل والاستعباد فعمل مُدرسا في مدرسة متوسطة (وتسمى اعدادية في مصر) في حي الظاهر بصحبة ثلة من أصدقائه أمثال المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني ومحمد فريد (أبو حديد) ، وأحمد حسن الزيات ، ولم يستمر الحال في عمله على ذلك طويلا اذ سرعان ما يصطدم مع مديرها (ناظرها) فيقدم استقالته ويتضامن معه المرحوم المازني ٠

وفي ظل تلكم الظروف العصيبة كان العقاد يسكن حي السكاكيني في غرفة بالطابق الارضي من شارع النزهة المتفرع من ميدان الجيش (حاليا) وفي نفس البيت الذي كان يسكن فيه كانت الى جوار غرفته تسكن عائلة غنية من سراة القوم وأثرياء القاهرة ينحدر نسب عائلها من مكة المكرمة وهذا الرجل المدعو مصطفى القدسي من أوائل المؤسسين لشركة أتوبيس القاهرة حيث كان شريكا في شركة

(سانت كروفت) للاوتوبيسات ، وأستاذنا العقاد كان يجتمع اليه في بعض الليالي ويتبادلان الاحاديث المختلفة في الشؤون العامة وما يدور في البلد من أخبار وحوادث وتارة ينقله العقاد الى قضايا أدبية وظرائف ونكات وطرائف عربية يأنس اليها السيد القدسي ويطلب المزيد من ذلك الادب الرفيع فيرتوي من فكر العقاد الخصب ويتنور بأفكاره الصائبة البعيدة ، فقويت الروابط أكثر فأكثر مما جعل السيد القدسي يدعو العقاد الى مكتبه باداة الشركة الذي كان مقره (أي المكتب) المكان الذي أقيمت عليه مستشفى سيد جلال الخيري الآن بشارع بور سعيد من ناحية ميدان باب الشعرية ، وهناك كان العقاد يجلس ويقدم له ذلك الجار أكواب (الخروب) المثلجة مع مغيب الشمس وهما يتجاذبان أطراف الحديث في السياسة والادب والقضايا العامة .

ويمرض العقاد يوما فيلازم حجرته وليس معه أحد من عائلته حيث كانوا جميعا في أسوان فلما علم ذلك الجار الصديق بمرضه عاوده وأحضر له الطبيب فعالجه على نفقته بل وكانت زوجة ذلك الرجل تعامله كأحد أبنائها اذ أنها وجدت فيه ابنا بارا لأن ذريتها كانت كلها من الاناث فسهرت على خدمته بل كانت تسأله دائما عن سبب انقطاعه من عمله بعد أن كان يعمل في التدريس ، فأخبرها بما حدث بينه وبين ناظر تلك المدرسة ، وكيف انه استقال وصاحبه المازني غير مكترث بما تحمله الايام لهما في هذا البلد الغريب ، ولكن تلك الزوجة الكريمة رأت من الواجب عليها ازاء ذلك الجار الكريم أن تمده بالمساعدة فقدمت له بعضا من حليها ليرهنها ويفك بها أزمته حتى يفرج الله الامور فيجد له عملا . وفعلا قام العقاد برهن تلك الحلي التي منحته اياها تلك السيدة البارة الكريمة وسدد ما عليه من التزامات مالية . وتصادف أن زاره أحد أخواله التجار فمنحه مبلغا من المال استطاع أن يعيد به حلي تلك السيدة الجارة التي رهنها لدى أحد التجار قبل أسابيع ويشكر لها وقوفها معه في محنته . وظل على اتصال بتلك العائلة سنوات طويلة ، لاسيما بعد أن مات عائلهم وتبددت ثروته ولاقت الزوجة وبناتها ما لاقت من عنت الدنيا وقسوة الاقدار ، ومع الايام كان نجم العقاد يعلو في سلم المجد ، ورغم ذلك كان لا ينقطع عن زيارة تلك السيدة ويمد لها يد المساعدة ما استطاع الى ذلك سبيلا . وفي سنة ١٩٤٠ تزوجت السيدة الارملة من رجل يعمل في المقاولات فأنجبت له بنتا بعد زواجه بها بسنتين وتشاء الظروف أن تنعكس الحال في وجه هذا الرجل فتضيق الدنيا به وتبدد ثروته فيعمل نقاشا لدى أحد المقاولين الكبار .

وفي سنة ١٩٤٥ يرزق ذلك النقاش المدعو محمد رشاد المراسي بنتا أخرى تلدها زوجته بالمستشفى ثم يوافيها أجلها خلال ولادتها . فيعلم العقاد صديق تلك الاسرة القديم بموتها فيذهب للعزاء ويسأل بنات تلك السيدة عن مصير المولودة الصغيرة بعد وفة أمها فيعلم منهم أنهم سيسلمونها الى أحد الملاجيء لترعاها الحكومة فيهتز قلب العقاد لذلك فيطلب أن يسمح له في رعايتها وتولي الانفاق عليها حتى تكبر ، فرحب ذلك الرجل الفقير بتلك الاريحية التي أبداها العقاد ، وتتعهد أختها الكبرى الاشراف على تربيتها على نفقة العقاد ، وكانت تلك السيدة تجلب الطفلة الصغيرة الى العقاد كل اسبوع في بيته بمصر الجديدة حتى يطمئن عليها ويقف على احتياجاتها ، وقد رأيتها تتردد عليه حتى آخر أيامه في الحياة فوجدت من العقاد عطفا أبويا شملها فكانت تخاطبه بلقب « بابا الاستاذ » وكان رحمه الله يهتم بها اهتماما بالغا فكان يكلفني في كثير من الاحيان أو يكلف الاستاذ الشاعر طاهر الجبلاوي في شراء ما تطلبه من كتب دراسية وملابس وغيرها وهذه الفتاة ظلت تستظل بظل العقاد الوارف وتحتمي به فكان لها الاب الحنون الى آخر لحظة من لحظات عمره وحتى بلغت السابعة عشر من العمر .

س : كيف اتفق يوم وفاتها يوم وفاة العقاد ؟

ج ــ بعد أن أعلن المذياع نبأ وفاة العقاد هاج الناس وماجوا معلنين أسفهم لهذا الخبر المفجع وراحت النداءات الهاتفية تترى على دار الفقيد من كل حدب وصوب تعلن بالغ ألمها وحزنها لما حدث وفي الهزيع الاخير من الليل دق جرس الهاتف واذ بأخت الفتاة التي رعاها العقاد تبدي أسفها وتبث أساها ولوعتها وتطلب منا الاذن بالمجيء الى البيت فأذنا لها بذلك وبعد برهة قصيرة واذا هي واختها الفتاة تدخلان علينا وكانت عقارب الساعة تشير الى الثالثة صباحا ونحن مشغولون فيما سنفعله في الغد من تشييع وتجهيز ونقل الجثمان ودفنه في مسقط رأسه (أسوان) واذا الفتاة نشاهدها وقد احتضنت جثمان العقاد المسجى على سريره وتقبل أطرافه ورأسه وتشم جسمه وهي في حالة أنستها تصرفاتها تلك وكلما حاولت أن أخرجها من الغرفة كانت محاولتي عبثا حيث أمسكت به وهي تنوح وتصرخ وتعول ولكن بعد جهد جهيد وبمعاونة الاستاذ محمد خليفة التونسي الذي كن حاضرا معي استطعنا أن نخرجها من الغرفة بعد أن انهارت قواها وتوقعنا لها مفارقة الحياة بعد ساعات أو أيام وفعلا صح ما توقعناه وقد أشرنا على أختها الكبيرة أن تخرجها خارج البيت وتعود بها من حيث أتت حفاظا على حياتها وشبابها وكذلك أوصيناها بأن لا تفارقها لوحدها حيث تشدد الرقابة عليها خشية الانتحار **وصدقت**

نبوءتنا فبينما نحن في شغل شاغل لنقل الجثمان الى أسوان بواسطة القطار ونحن في محطة القطار اذ جاء رسول من عند أهلها ينبئنا بانتحار الفتاة الصغيرة بعد تناولها أقراصا مهدئة أكثر من الكمية المسموح بها حيث تسمم جسمها ولم تسمح بادىء الامر باسعافها حتى تشبع جسمها بفاعلية الاقراص وعندها لم تنفع محاولات الطبيب في انقاذ حياتها وأخيرا فارقت الحياة وجثمان العقاد بعد لم يسج في القبر ولا زال في القاهرة فتحيرت في أمري ماذا أصنع لأهل الفتاة بعد أن طلبوا مني المساعدة وماذا سأقدم لهم من عون وأنا بهذا الموقف فطلبت من بعض المشيعين ممن رافقوا الجثمان وعلى ما أتذكر ـ الاستاذ طاهر الجبلاوي والاستاذ محمد خليفة التونسي وغيرهما أن يتصلوا بوزير الصحة كي يأمر المسؤولين في ادارة المستشفى أن يسلموا جثة الفتاة الى أهلها دون تأخير وفعلا كان ذلك ودفنت في مقابر العباسية ، وبعد يوم أو يومين من الحادث اذ يطلع علينا الاستاذ رجاء النقاش بالخبر المضلل والادعاء الكاذب من أن هذه الفتاة هي ابنة العقاد غير الشرعية .

بقي أن تعلم يا عزيزي أن اسم الفتاة هو (بدرية) وهذه هي قصتها منذ ولادتها وحتى انتقالها الى الرفيق الاعلى مع من أحبها ورعاها وصان كرامتها .

س : كانت للعقاد فلسفة معينة في الزواج ورأي معلوم في المرأة . فهل لنا أن نقف على ذلك من خلال ملازمتكم له .

ج ـ لم تكن للعقاد فلسفة في الزواج انما مشاغل الحياة ومتاعبها وانغماسه في المطالعات المتعددة الجوانب حالت دون الاقدام أو التفكير في الزواج هذا من ناحية أما من الناحية الاخرى فان حاجاته ولوازمه كانت تقضي على يد أهله وعشيرته وأسرته فهو في غنى عن الاخرين وسعيد من اكتفى بغيره . هذان هما العاملان اللذان صرفا العقاد عن الزواج .

أما الشق الثاني من سؤالكم وهو ما يتعلق برأيه رحمه الله في المرأة ذلك العنصر الذي كرمه العقاد وأخلص له منطلقا من ايمانه بالله وبالاسلام الذي كرم المرأة وصان حقوقها وحفظ أنوثتها ونظر اليها في كل تشريعاته نظرة ملؤها العطف والحنان والرحمة فنظرة العقاد كانت من خلال نظرة الاسلام اليها فليس من المعقول أن تصدر عن مفكر أمن بالاسلام ايمان الرجل الواعي المؤمن أن يذل المرأة أو يحتقرها على خلاف ما أراد لها الاسلام الحنيف ومن شاء أن يستزيد فليراجع كتبه الثلاثة عن المرأة وهي : هذه الشجرة الذي صدرت طبعته الاولى عام ١٩٤٥ عن دار سعد مصر ، وكتاب الانسان الثاني الذي صدرت طبعته الاولى عام ١٩١٢ عن مكتبة دار الهلال بالفجالة وكتاب المرأة في القرآن الذي صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٩ عن دار الهلال . هذا اضافة الى مقالاته المتناثرة في المناسبات المختلفة عندما يتحدث عن المرأة فلا يغمط حقا من حقوقها المشروعة وقد قالت عنه الاديبة المعروفة (مفيدة عبد الرحمن) عقب وفاته مثمنة مواقفه تجاه العنصر النسائي بقولها : « غير صحيح أن العقاد كان خصما للمرأة ان العقاد هو نصير المرأة ان كل كلمة كتبها المفكر الكبير عن المرأة وسام لكل بنات حواء يؤكد شخصيتها ويحفزها على مضاعفة الجهد لتثبت جدارتها على الجمع بين الامومة والعمل خارج البيت .. »

س : المعروف عن أستاذنا المرحوم العقاد سرعة غضبه وضيق صدره من أي نقد يوجه له أو لأي أثر من آثاره الادبية والفكرية فكان ينفعل ويقيم الدنيا ويقعدها عندما ينقده أحد ، فكان ذلك مدعاة لدخول معارك وخصومات مع ناقديه أغنت الأدب الحديث وأفادت القارىء العربي . فهل لكم أن تحدثوا القراء وأنصار العقاد عن أشهر المعارك النقدية وأبرز النزعات الفكرية التي عرضت للعقاد خلال مسيرة حياته الحافلة بشتى ألوان العلم والمعرفة ؟

ج ـ العقاد شخصية مزاجها من نمط فريد قلما يكرر في عالم الانسان ، يمتاز بأنه لا يخشى في قولة الحق لومة لائم أبدا ، فهو شجاع يجاهر بالصدق والعدل ويمقت الكذب والظلم وحسبنا دليلا على صدقه تراجمه التي أغنى المكتبة العربية بها مثل : محمد ، والمسيح ، وأبي بكر ، وعلي ، والحسين ، وسعد زغلول ومحمد علي جناح وغيرهم .

ان ايمان العقاد برسالته، وتحمله ما لاقى من صعاب في سبيلها دليل على شجاعته وحسن نيته ، ومن ذلك حملته على شوقي وعلى أنصار القديم اذ وقف لهم وحده عندما توقف صاحباه عن الدعوة . فلم يكن يبالي وهو يوجه ضرباته الى أنصار القديم بكل ما فيه من عزم وقوة وجرأة على المخاطر مهما تكن العواقب في سبيل الحق وحسبنا **قوله :**

هما سبيلان من يبغ السلامة لا
يأسف على الحق أو يحلم برؤياه
ومن بغى الحق في الدنيا فلا أسف
على السلامة ان خانته دنياه

قد يهجر الامن من ذلوا ومن وهنوا
وما تفرق قط الهول والجاه
فاختر لنفسك : أما المجد في خطر
أو الهوان وقد تشفى ببلواه
وما اختيارك الا ما خلقت له
ان الطبائع ما ترضاه نرضاه

* * *

وقد أوحى اعتزاز الرجل بنفسه لدى البعض أنه مغرور وخشن وجاف القول اذا استثير وغير ذلك من الصفات التي تشفي أصحاب الصدور الحانقة وأورد لك قصة طريفة لابرهن لك دعواي ، مرة سمعت من صباغ للاحذية وهو يحقد على العقاد ويكرهه فتعجبت من ذلك وسألت نفسي ما هي علاقة هذا الرجل العامي بعلم شامخ كالعقاد وما هي الدوافع الخفية التي دفعته لكي يصب حمم سبابه ولعناته على العقاد ، فسألته سؤال المتحير عن السبب فأجابني بالحرف الواحد : لماذا تمتلىء الصحف والمجلات باسم العقاد وتتوسط صوره معظم الصحف وهو لا يعدو أن يكون رجلا يملأ الصحيفة بكلام فارغ لا جدوى من ورائه (طبعا حسب تقديرات الاسكافي) ويومها دعوت لهذا الرجل المسكين بشفاء الصدر مما يعانيه ويجنبه الله ضغينة الحسد والحقد التي تملأ قلبه .

من أبرز المعارك الادبية وأقدمها في حياة العقاد هو ما حدث بينه وبين الرافعي عندما نشر العقاد في (المؤيد) سنة ١٩١٤ نقدا عنوانه (فائدة من أفكوهة) تدور المقالة حول اضطراب القياس عند الرافعي حينما كتب عن جهاز النطق لدى الانسان والحيوان ، فينهي العقاد مقالته بأن الرافعي منشىء مكين ، يحس اضطراب القياس لديه ويعمل القلم ولا يعمل الرأي وكان ذلك أقدم مقال نقدي صدر عن العقاد وهذا الذي أوردته هو الصواب وقد فات ذلك الاستاذ سعيد العريان حينما كتب عن معركة العقاد الاولى مع الرافعي ولا حاجة للاطالة في ذلك .

ومن معارك العقاد النقدية المهمة ما كان مع أحمد شوقي وهي في الحقيقة كانت سنة ١٩٢٠ حينما أصدر العقاد والمازني كتاب (الديوان) فالمتتبع لنقد العقاد شعر شوقي يجد أنه قال رأيه في شاعرية شوقي وشعره قبل ذلك بسنوات عندما عاب عليه الغلو والتقليد وكذب العاطفة واتهمه بأنه في رثائه لبطرس غالي كان يبكي الامير والقصر .

وقد أخذ الكثير من أصدقاء العقاد شدة لهجته حينما نقد شوقي وفاتهم أن تلك اللهجة كانت أنسب اللهجات لمخاطبة رجل متنفذ كشوقي يشاركه في هذه المسؤولية الذوق الادبي الذي كان سائدا في الحياة الادبية انذاك حيث كانت الفرص متاحة له وحده (أي لشوقي) وكأن شوقي وحده شاعر العرب والعالم والعقاد كان يعتبر شعر شوقي لا يدل على مزية نفسية أو صفات شخصية ومعنى ذلك أنه ليس بشاعر موفور الحظ من الطبيعة . وهذا العقاد يدافع عن وجهة نظره تلك الى آخر لحظة من لحظات عمره .

ومن معارك العقاد الادبية الطويلة مواقفه من طه حسين — رحمه الله — وتاريخ ذلك يرجع الى سنة ١٩١٦ عندما كتب العقاد في (المقتطف) مقالا بعنوان : (نظرات في فلسفة المعري) وختمها يومذاك بمآخذ أخذها على دراسة الدكتور طه حسين للمعري .

واستمرت الخصومة والردود بين الاثنين زمنا طويلا أغنت التراث والادب الشيء الكثير ولكن العقاد لم يحقد ولم يظلم طه حسين واثاره بل وقف الى جانب صديقه وزميله ساعات المحنة وأيام الضيق والامثلة كثيرة منها موقفه أثناء الازمة التي عرضت لطه حسين عندما أصدر (في الشعر الجاهلي) سنة ١٩٢٦ الامر الذي حدا برجل كالشيخ مصطفى الغاياتي عضو مجلس النواب أن يقول في حينه : « ما كان المظنون أن يوجد بين المسلمين في مصر من يجرؤ على الدين الى هذا الحد الذي بلغه طه حسين .. الخ » وأيده المسؤولون في حينه وساقوا المؤلف الى القضاء ولكن العقاد ازاء تلك الزوبعة التي هبت بوجه طه حسين وقف موقفا لن ينساه التاريخ منطلقا من مبدأ حرية الكلمة وحرية الحرف أن دافع تحت قبة البرلمان وسط بلبلة عاصفة لا تعرف مغبتها وقف يدافع عن الرجل وعن حرية الرأي والفكر في هذا البلد وقد كان لدفاعه آنف الذكر أثر محمود في نفس الدكتور طه حسين وظل يذكر هذا الموقف والاريحية من العقاد الى نهاية حياته . ولم تقتصر مواقف العقاد على واحدة من القضايا التي عنت لطه حسين في حياته وعرضت له فله موقف مشرف حينما حاولوا اخراج طه حسين من الجامعة وقد ذكر طه حسين في جريدة الاهرام في ١٦—٣—١٩٦٤ تحت عنوان (أول حديث لطه حسين عن العقاد) قال : ان العقاد وقف وقفة مشهودة يوم أراد خصومي اخراجي من كلية الاداب فقال العقاد : « على مهلكم فأنتم اذا أخرجتم فلان من الجامعة ، فلن تجدوا من يستحق أن يجلس مكانه » .

هذه هي أبرز المعارك الادبية والنقدية في حياة العقاد وان كانت له آراء ومواقف تجاه بعض القضايا كقضية الشعر الحر مثلا الا أنها لم تكن من البروز كالتي ذكرناها .

س : ترك العقاد آثارا مطبوعة تربو على السبعين . فهل لكم أن تحدثونا عنها بعد أن اختلف مؤرخو الادب في عددها ؟

ج ـ يخطيء الكثيرون عندما يذكرون عدد مؤلفات العقاد ، فمنهم من يذكر أن عددها سبعون مؤلفا ، ومنهم من يضيف خمسة على هذا الرقم ، ومنهم من يتحذلق فيذكر أنه ترك مؤلفات بعدد سني عمره التي عاشها وهي أربعة وسبعون عاما على التقريب • والواقع أن عدد تلك المؤلفات حتى تاريخ وفاته ٩٣ مؤلفا وكتابا بدأها بكتابه الاول « خلاصة اليومية » سنة ١٩١٢ وكان الاستاذ العقاد يسميه « شهادة ميلاد » أي ميلاده وهو ككاتب وشاعر في عالم الفكر والقلم ، وختمت هذه المؤلفات بكتابه « جوائز الادب العالمية » وهو الذي صدر عن المطبعة في سلسلة المكتبة الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة المصرية وذلك في آذار (مارس) ١٩٦٤ أي قبيل وفاته بسبعة أيام على وجه التقريب •

يضاف الى ذلك العدد الوفير من مئات المقالات والابحاث المتناثرة في بطون المجلات والصحف المصرية والعربية في مختلف شؤون المعرفة الانسانية لم تجمع في كتاب ـ ومما يجب ملاحظته فيما يتعلق بمؤلفات أستاذنا العقاد أن هذا الانتاج قد أخذ في الزيادة منذ بلوغه الاربعين وان المؤلفات التي ظهرت في الفترة المذكورة أو بعدها من عمره كانت من الكتب ذات الموضوع الواحد لانه كان منصرفا من ذي قبل الى تحرير المقالات وكتابة الابحاث القصيرة • وقد يندهش بعض الناس عندما يعلم أن مؤلفات هذا العبقري أخذت تكثر في اخريات أيامه • حتى في أيام شيخوخته التي يعمد الناس فيها الى الراحة والخلود الى الهدوء والابتعاد عن الضجيج وعالم الصخب، ولنضرب لذلك مثلا : في سنة ١٩٥٣ والتي بلغ العقاد في ذلك الحين الثالثة والستين من عمره فانه استطاع أن يقدم للمكتبة العربية في تلك السنة خمسة مؤلفات قيمة هي على الترتيب [عبقرية المسيح ، فاطمة الزهراء والفاطميون ، إبن رشد ، أبو الانبياء ، أبو نؤاس] وأنا لا أرى موجبا لتلك الدهشة عندما نعلم أن الرجل كان من أدق من رأيت في حياتي تنظيما لاوقاته ، فقد كان كل تصرف يصدر عنه وفق حساب دقيق ومنظم ، يضاف الى ذلك تفرغه للقراءة والتأليف ، ولا أعرف من بين حملة الاقلام في مصر كاتبا متفرغا عاش معتمدا على قلمه سوى العقاد ، فالكل كان يعتمد على وظيفة الى جانب العمل الفكري • هذا الى كون أن العقاد كان من أكثر مفكرينا العرب الذين أتاهم الله مقدرة خاصة مع غزارة في العلم وقدرة على التخلص والتركيز مما ساعده على ذلك كله •

يضاف الى ما تقدم أنه بعد وفاة العقاد سنة ١٩٦٤ صدر ما يقرب من عشرين كتابا للعقاد وهي مجموعة مقالات أدبية ونقدية واجتماعية في مصر وخارجها ، منها حياة قلم ، أنا ، دراسات في المذاهب الادبية والاجتماعية ، المرأة ذلك اللغز ، فنون وشجون ، قضايا ومواقف، آراء في الاداب والفنون ، بحوث في اللغة والادب • وغيرها •

س : هل خلف العقاد مؤلفات مخطوطة لم تطبع، وهل في النية طبعها ـ أن وجدت ـ ؟

ج ـ الواقع ان العقاد لم يترك مخطوطات لانه كان لا يكتب الا اذا طلب منه الكتابة • أي باتفاق مسبق مع ناشر معين ، ألم أقل لسيادتكم من قبل أنه الكاتب الوحيد الذي عاش على ما يدره عليه قلمه فكيف كان في الامكان أن يكتب ويترك ما كتب للظروف وان كان ولا بد من ذكر ما تركه مخطوطا فهو بداية مؤلف كان ينوي أن يكتبه عن الامام الغزالي حيث كان العقاد يرى فيه أنه أعظم من ديكارت الفيلسوف الالماني ، وهي صفحات قليلة لا تتعدى ملزمتين ورأيت أن أحتفظ بهما وأطلقت عليهما (السمفونية الناقصة في الفكر العقادي) على أساس أن الاجل لم يفسح لصاحبها كي يتمها •

س : ترك العقاد مكتبة عامرة ضمت آلافا من المراجع والدوريات والكتب قديمها وحديثها عربيها وأجنبيها • فهل لكم أن تدلوا لنا بما آلت اليه تلكم الخزانة القيمة ؟

ج ـ تبلغ مكتبة العقاد ٢٥ ألف مجلد وكتاب باللغة العربية واللغات الاجنبية الحية كما كانت روضة فكرية حوت كل الفنون الانسانية والمعارف ، وهي المكتبة الثالثة التي كونها ـ رحمه الله ـ حيث يرجع تاريخها الى سنة ١٩٠٧ وبقيت في حوزته الى سنة ١٩١٩ حيث تبددت نتيجة للظروف السياسية التي أحاطت به ، والثانية تاريخها بعد سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٤٢ حيث هاجر من مصر الى السودان عندما كانت جيوش هتلر على مشارف العلمين وكانت اذاعة برلين قد هددت العقاد بالقتل وهو الذي هاجم النازية والنازيين فترك خزانته لبعض أصحابه وطلب منهم بيعها وارسال أثمانها اليه لكي يقيم أوده منها في ديار الغربة بالسودان ، ولما عاد بدأ يبني مكتبة جديدة وهي الثالثة التي بقيت حتى ارتحاله الرحيل الابدي • وقد ارتأينا أن نودعها في دار الكتب والوثائق المصرية في جانب خاص يحمل اسمه الكريم ولكننا ننتظر حتى تنتقل دار الكتب الى مكانها الجديد على كورنيش النيل كي ننقلها اليها والمكتبة لا تضم كتبا مخطوطة ذات بال اللهم الا بعض المفردات بعدد أصابع اليد ، ولكن المهم أن تعليقات العقاد على بعض الكتب وعمل الحواشي عليها هو الذي يكسبها أهمية علمية وقد تكون بعض الهوامش والشروح مهمة جدا ••

س : أود أن يطلع القراء الافاضل على قصة وفاته ثم تشييعه ودفنه بأيجاز .

ج ـ توفي العقاد لرحمة مولاه عن عمر بلغ الرابعة والسبعين وشهرين ويومين وشيعت جنازته مساء ١٢ـ٣ـ١٩٦٤ تشييعا مهيبا الى بلدته أسوان حيث دفن فيها في مقبرة خاصة في الطريق المؤدية الى السد العالي ، وقد ظلت المقبرة مهملة فترة طويلة حتى قيض لها بعض محبي أدبه الى السعي من أجل تشييدها وتولى المهندس عثمان أحمد عثمان الوزير الحالي والمقاولون العرب بناءها وظل محافظ أسوان يتابع العمل بنفسه وافتتحت هذا العام في ذكراه الحادية عشرة ١ـ٣ـ١٩٧٥ حيث وضع الرئيس أنور السادات اكليلا من الزهور على قبره أثناء وجوده في أسوان، وقد سارت مسيرات شعبية وطلابية الى مقبرته لتضع عليها اكاليلا من الزهور اجلالا لادب وشخصية الرجل الخالد ، وقد ألقى جمهور من الشعراء قصائدهم في تخليد أديبهم الكبير وكذلك انشأ الادباء مقالات تشيد بعبقرية ومكانة أستاذهم الراحل حيث استمر الاحتفال أياما ثلاثة أفتتح أثناءها معرض ضم مخلفات الراحل العظيم وبعضا من كتبه التي تركها بمنزله في أسوان والتي تلغ ٤ الاف كتاب اضافة الى نسخة من كل مؤلف من مؤلفاته .

س : صدرت بعد وفاة العقاد عدة كتب ودراسات عنه فهل لكم أن تحدثونا عنها وعن طبيعة بعض تلكم الدراسات الجادة التي سلطت الاضواء على كل جانب من جوانبه المتعددة ومنها شاعريته ؟

ج ـ الواقع أن هذا سؤال أحب الاجابة عليه لا لشيء الا لانه يعطينا فكرة وافية عن تلك المكانة والمنزلة التي كان يتمتع بها العقاد بين مفكرينا المعاصرين ويتضمن كذلك ردا على أولئك الذين كانوا يرمونه بأنه صاحب أسلوب صعب لا يعرف السهولة ، أو ان شاعريته من ذلك النمط العقلاني المتفلسف . وقد كان الى وقت قريب يحلو للشاعر صالح جودت الذي احتل مكان العقاد في لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب في الاونة الاخيرة وبعد وفاة الشاعر الكبير عزيز أباظة .. كان يحلو له كلما ذكر العقاد وسط الشعراء العرب لقبه بالشاعر العقلاني وهي محاولة يرمي من ورائها السيد صالح جودت أن يقول للناس أن شعر العقاد خال من العاطفة وهي تهمة سبق وأن قالتها جماعة ابولو التي حاول زعيمها الشاعر أحمد زكي أبو شادي أن يرمي بها شعر العقاد في الثلاثينيات . واليوم يعود صالح جودت ليبعث هذه التهمة الى الوجود لا لشيء الا لانه يشعر بعظمة العقاد الشعرية التي بدأت الجامعات والباحثون والادباء بالاعتراف بها والنظر اليها بكل تقدير واكبار ، فعز على جماعة ابولو وتلاميذها أن تلتفت الاجيال لتلك الشاعرية الرصينة في حين يهمل العديد من شعراء ابولو وغير ابولو يضاف الى ذلك أن مفهوم العاطفة لدى (أبو شادي) وجماعته ومنهم صالح جودت هي رقة مشبوبة بالدموع والاهات والزفرات أو هي رقة ترادف البكاء وان الشاعر ينظم ليبكي ويشكو وان العاشق يحب ليبكي ويشكو فاذا هجره الحبيب بكى ، واذا زاره الحبيب لم يجز له أن يكف عن البكاء ، ولنضرب لذلك مثلا الشاعر ابراهيم ناجي ويعد من أبرز جماعة ابولو (١) الشعرية ، فيقول :

بي ما تحس وفي فؤادك ما بي
فتعال نبك أيا نجي شبابي
تجري الدموع وأنت دان واصل
كمسيلهن وأنت في الغياب

وهي رخاوة مريضة حاربتها جماعة الديوان التي راسها العقاد منذ العشرينيات لانهم كانوا يرون أن من واجبهم حماية الاجيال الماضية العزائم من تلك الاعراض المريضة ، وليس أفسد ولا أضر من ذوق لا يتخيل في الحب الا انه فرصة للانين وذرف الدموع وليس أدعى الى الاشمئزاز من رجل في نحو الستين ينطلق باكيا منتحبا كالطفل العليل النكد .. لانه عاشق أو لانه شاعر تفهم العشق والشعر على نحو ماجن بغيض .

وأود بهذه المناسبة أن أضرب مثلا آخر لشاعرية العقاد وشاعرية ناجي أحد أعمدة الجماعة التي تطلق على نفسها ابولو التي لا يألوا جهدا بعض اتباعها في تجريد العقاد من العاطفة كشاعر عربي ، فالعقاد يقول :

ومالنتفاعي وقد شاب الفؤاد سدى
ان لم تشب أبدا كفي ولا قدمي

أو يقول :

وتلمس كفي شعره وكأنني
أعارض سلسالا من الماء صافيا

أو يقول :

فاذا صحوت فأنت أول خاطر
واذا غفا جفني فأنت الاخر

(١) لنا رأي مخالف في مدرسة ابولو التي رفعت لواء التجديد في الشعر العربي في حينه ـ الكتاب .

فيأتي ابراهيم ناجي بعد هذا وينظم قائلا :

أريك مشيب الفؤاد الشهيد والشيب ما كلل المفرقا

ويقول أيضا :

وجرى يميني في غزير حالــك
مسترسل كالجدول المنساب

وقوله كذلك :

مر الظلام وأنت ملء خواطري
ودنا الصباح ولم أزل مشغولا

وأترك للقارىء مقارنة أبيات العقاد بأبيات ناجي ليعرف من السارق من الاخر ومن أقوى صورة وأصدق عاطفة ، وفي اعتقادي أن هذا الدليل قاطع على من زعم أن شعر العقاد يغلب عليه طابع الفلسفة والعقلانية .

نعود الى الكتب والمؤلفات التي صدرت عن العقاد عقب وفاته فهي كما يلي :

١ ـ العقاد ناقدا ـ رسالة ماجستير مقدمة لكلية دار العلوم بالقاهرة لعبد الحي دياب (رحمه الله) .
٢ ـ شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث ـ رسالة دكتوراه مقدمة لنفس الكلية وللطالب السابق نفسه أيضا .
٣ ـ عبقرية العقاد ـ للدكتور عبد الفتاح الديدي .
٤ ـ فلسفة الجمل عند العقاد ـ للدكتور عبد الفتاح الديدي .
٥ ـ العقاد والفلسفة الاجتماعية ـ للدكتور عبد الفتاح الديدي .
٦ ـ لمحات من حياة العقاد ـ عامر العقاد .
٧ ـ معارك العقاد الادبية ـ عامر العقاد .
٨ ـ معارك العقاد السياسية ـ عامر العقاد .
٩ ـ آخر كلمات العقاد ـ عامر العقاد .
١٠ ـ مواقف العقاد العاطفية ـ عامر العقاد .
١١ ـ المرأة في أدب العقاد ـ عبد الحي دياب .
١٢ ـ العقاد وفلسفة الجمال ـ رسالة ماجستير من معهد الدراسات العربية ـ للحساني عبد الله .
١٣ ـ شاعرية العقاد ـ رسالة ماجستير من كلية اللغة العربية بالازهر الشريف ـ لابي جريشة .
١٤ ـ العقاد صحفيا ـ رسالةماجستير منكلية لاداب ـ قسم الصحافة لعبد العزيز شرف .
١٥ ـ قضية السفور بين العقاد والرافعي ـ العوضي الوكيل .
١٦ ـ مع العقاد ـ الدكتور شوقي ضيف .
١٧ ـ العقاد والتجديد في الشعر ـ العوضي الوكيل .
١٨ ـ ليس دفاعا عن العقاد ـ أحمد متولي .
١٩ ـ المدخل الى شعر العقاد ـ أحمد ابراهيم الشريف
٢٠ ـ في صحبة العقاد ـ طاهر الجبلاوي .

هذا الى جانب العديد من الرسائل التي كتبت ولاتزال قيد الاعداد لتقدم الى الجامعات المصرية والعربية عن هذا الرجل الفذ .

أما ما يتعلق بالشق الثاني من سؤالكم المتضمن استفسارا عن أبرز المؤلفات التي كتبت عن الراحل الغالي فأرجو اعفائي من الاجابة عليه لانني لا أحكم بنفسي بل هذا الحكم يترك للنقاد لان القضية التي تطلبون مني الحكم فيها أنا صاحب حصة فيها واما اذا كان ولا بد من القول : فهي جميعها دراسات الهدف منها استجلاء ما خفي من جوانب هذه الشخصية المتعددة الجوانب وتقييم محتواها الفني والادبي .

س : لقد عشت مع عمك فترة زمنية طويلة استطعت أن تقف على دواخل نفسه ومظاهر حياته الخاصة والعامة . فهل لكم أن تذكروا لنا وللقراء أبرز ذكرياتكم معه ؟

ج ـ هي ذكريات لا تنتهي فقد كان الرجل عظيما بكل مافي هذه الكلمة من شموخ وكبرياء ومعان . فهو عظيم كقريب لي وكأستاذ علمني ما لم أتعلمه في مدرسة أو جامعة وبث في احترام الكلمة المكتوبة واحترام العظمة في جميع جوانبها وقد خسرت الكثير بوفاته لانني كنت انتهل من ينبوعه الثر سنوات طويلة في بيت واحد .

س : بقي سؤال أخير نود أن نوجهه لكم يتعلق بحياتكم الادبية والعامة !

ج ـ انني عامر بن أحمد بن محمود العقاد متفرغ للاشراف على اعادة طبع مؤلفات عمي عباس محمود العقاد ومراجعة تجارب الطبع ومتفرغ للتأليف الادبي وكتابة المقالات للصحف والمجلات ، متزوج ولي ولدان ، أما مؤلفاتي المطبوعة غير التي ذكرناها عن العقاد فهي :

١ ـ صوت السماء بلال بن رباح
٢ ـ المثال النادر خديجة بنت خويلد .
٣ ـ أحمد أمين ، حياته وأدبه .
٤ ـ صالح جودت في الميزان .
٥ ـ وجاء مايو (عن ثورة السودان) .
٦ ـ أحاديث العقاد الصحفية ـ جزءان تحت الطبع ـ

هذا وقد ودعنا الاستاذ عامر العقاد بعد لقاء دام أكثر من ثلاث ساعات شاكرين له الفضل في كشف جوانب خفية عن العقاد أملين منه أن يكمل المسيرة التي بدأها العقاد وينجز كل ما يتعلق بآثار العقاد خدمة للفكر والادب .

ترجمة رسالة الغفران

بقلم الياس سعد غالي

نشر الاستاذ رشيد ياسين في جريدة المحرر البيروتية عدد ١٢ / ١١ / ١٩٧٤ مقالا حول دانتي وحبيبته بباتريس • وفي معرض تساؤله هل تأثر دانتي بأبي العلاء ام لا ، ذكر أن ثمة رأيا يقول بان دانتي استمد فكرة ملحمته من رسالة الغفران التي وصف فيها اديبنا أبو العلاء المعري رحلة متخيلة قام بها بطل الرسالة ابن القارح الى الجنة والنار ، وان هذا الرأي ليس بمستبعد فقد « ترجمت رسالة ابي العلاء الى اللاتينية في **القرن الثالث عشر** » ولكن الفكرة لم تكن جديدة على الاوروبيين •

ولاعتقادي ان الاستاذ رشيد ياسين قد وقع في خطأ فيما يتعلق بترجمة رسالة الغفران الى اللاتينية وتحديد القرن الثالث عشر تاريخا لتلك الترجمة، كتبت اليه بتاريخ ٢٨ / ١ / ١٩٧٥ رسالة بواسطة جريدة المحرر ، لجهلي عنوانه، متسائلا ولا فتا انتباهه الى هذه الناحية والى ضرورة اعادة النظر في مصدره ثم التكرم باطلاعي على نتيجة تحرياته وذلك بغية تصحيح معلوماتي او معلوماته بهذا الشأن •

وبالنظر الى ان رسالتي لم تعد الي ولم يأتني حتى اليوم الجواب عنها، وبالنظر الى اهمية الموضوع من الناحية وبالنسبة الى العلماء والباحثين عامة رأيت من الواجب طرح القضية في مجلة واسعة الانتشار عسى ان يبلغ تساؤلي مسمعي الاستاذ رشيد فيرشدنا هو او غيره مشكورا الى المصدر الموثوق الذي اعتمده ويدل على ان رسالة الغفران ترجمت الى اللاتينية في القرن الثالث عشر ! ••••

ففي حد علمنا بالاستناد الى بحوث علماء ومفكرين جديين استطعت الاطلاع عليها انهم لم يجدوا في ما كتبه الأقدميون عن أبي العلاء ، مع ذيوع شهرته في المشرق والمغرب والاندلس وكثرة من رووا اشعاره وعارضوا بعض تصانيفه واقتفوا قفوه واحتذوا حذوه معجبين به ومقلدين ، اهتماما واضحا لهم برسالة الغفران • واكثر ما جاءت بين فهرست كتبه وقد اكتفي بذكر اسمها مجردا بين ثبت مؤلفاته، وهذا هو الغالب ، ولكن هنا وهناك عبارات موجزة عقب بها بعض المؤلفين حين اتى ذكر رسالة الغفران كقول سبط ابن الجوزي : انها من المصنفات الحسان لابي العلاء : وكقول الذهبي انها احتوت على مزدكة واستخفاف ، وفيها أدب كثير وقول الكلاعي : انها من رسائله التي لها بال • وهذه

الاشارات لاتغنى ولا تدل على عناية خاصة لهم بها (١) ٠
ومع ان كتبا عربية كثيرة ترجمت الى اللاتينية لم يقم حتى اليوم دليل على ان رسالة الغفران قد وجد لها في الغرب مخطوط او انها ترجمت في جملة ماترجم الى اي لغة الأوروبية حتى عهد دانتي(٢) الذي كان يجهل العربية(٢)٠ وترجمتها كاملة ضرب من المحال بشهادة نيكلسون، ولم تكن تكن بعد قد ترجمت الى العربية باسلوب عصري (٣)٠وقول الحمصي بان لا سبيل الى الشك في ترجمة رسالة الغفران الى اللاتينية قبل دانتي قدرد عليه الدكتور فؤاد افرام البستاني (٤) بانه أمر يحتاج الى برهان يستند الى شيء أثبت من الظن والتخمين ، فالظن لا يغني عن الحقيقة شيئا ٠

وفي حد علمنا أيضا أن اسم أبي العلاء لم يذكر في كتابات اجنبية قبل عام ١٦٣٨ ، ففابريسيوس اول من ترجم قصيدة من سقط الزند للمعري وبعده ترجم فولبر عام ١٨٢٧ قصدتين من سقط الزند ايضا ، وترجم ا ٠ كرومر عام ١٨٧٥ بضع قصائد من اللزوميات (٥) ٠

وقدقدم الاستاذ عبد الرحيم احمد الى مؤتمر المستشرقين المنعقدة في باريس من ٥ ـ١٢ / ٩/١٨٩٧ مذكرة عن حياة ابي العلاء ومؤلفاته قال فيها ان في حوزته مخطوطا مجهولا لأبي العلاء «رسالة الغفران» التي تشبه تقريبا كوميديا دانتي

وفي عام ١٨٩٨ ترجتم ونشر د ٠ س ٠ مرجليوت رسائل ابي العلاء٠وفي عام ـ١٨٩٩وصف نيكلسون مخطوطة اشار الى ان ترجمة هذه الرسالة ترجمة كاملة غير ممكنة بسبب المناقشات اللغوية التي تحتل مكانا كبيرا ولا تقبل النقل وخشية الاسهاب الذي من شأنه ان ينفر القراء غير المختصين ، وعاد نيكلسون فترجم القسم الثاني من رسالة الغفران عام ١٩٠٢ ٠

وقد ترجم امين الريحاني عام ١٩٠٣ الى الانكليزية شعرا رباعيات ابي العلاء من اللزوميات وسقط الزند(٢)٠ وترجم م٠ س٠ ميسا عام ١٩٣٢ القسم الاول من رسالة الغفران وقد حذف عبارات كثيرة ٠

فهل من عجب بعد هذا العرض اذا ما ساورتنا الشكوك في صحة مصدر الاستاذ رشيد ياسين وتحتم علينا ازاء جزمه القاطع بان رسالة الغفران ترجمت الى اللاتينية في القرن الثالث عشر مطالبته بالتحقق من صحة مصدره الذي استند اليه ويدعم رأيه ثم اعلان هذا الاكتشاف الهام ، الذي خفي على كثيرين ، على ملأ المثقفين والباحثين ، وان كان ثبوت حقيقة هذه الترجمة في التاريخ المشار اليه لا يكفي وحده ـ في نظرنا ـ لاثبات الزعم القائل بان دانتي اطلع عليها واقتبس منها ما لم ينهض دليل اخر ملموس على صحة ذلك٠

يخيل لي ان رأي الاستاذ رشيد ياسين بان رسالة الغفران ترجمت الى اللاتينية في القرن الثالث عشر ماهو الا ترديد لزعم قسطاكي حمصي المتهافت الذي اشرنا اليه سابقا او انه كان نتيجة خداع نظر اثناء المطالعة فحسب ، وهذا مااحسبه بل أرجحه الى ان يتكرم هو او غيره بارشادنا الى المصدر الموثوق الذي يثبت قوله ، والذي ننتظره بلهفة ٠ ولكيلا نترك الموضوع مبتورا ، والفرصة سانحة ، يتحتم علينا أن نبين ما حدانا على الشك في صحة ذلك الرأي ٠

في تصورنا أن الاستاذ ياسين كتب مقاله المنوه به في مطلع مطلع هذا البحث مستندأ الى ديوان دانتي الاول « الحياة موضوع بحثه ، وقد جاء في احدى حواشي هذا الكتاب ان دانتي ، لكي يدل على تاريخ وفاة حبيبته بياترس استمد معلومات عن الاشهر الشرقية(العربية والسورية)من الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية الكثيرة الاستعمال ولا سيما من كتاب ٠ فقد يكون الاستاذ ياسين قرأ هذه الكلمة هكذا : اي الغفران ٠ ولكن ليس في رسالة الغفران اي اهتمام او بحث يتعلق بتقويم السنين والاشهر موضوع اهتمام دانتي من جهة ، ومن جهة ثانية لان كلمة لاتدل قطعا على الغفران بل هي اسم او نسبة لشخص واذا بحثنا في دائرة المعارف الفرنسية (كران لاروس) عن كلمة نجد كلمة وازاءها احالة الى كلمة التي تعني الفرغاني اي محمد او احمد بن كثير الفرغاني نسبة الى فرغانة وهو فلكي عربي من القرن التاسع وله كتاب علم النجوم والحركات السماوية ترجمه الى اللاتينية جان دوسيفي وجيرادو وكريمون من القرن الثاني عشر ، وليس لهذا الفلكي العربي ذكر في معجم الاعلام لخير الدين الزركلي ٠

عسانا اذا كنا لم نخطىء في ما ذهبنا اليه ان نكون قمنا ببحثنا بواجب وبقصد الانتفاع والنفع وخدمة حقيقة علمية ٠

---

١ ـ تعريف القدماء بأبي العلاء : رسالة الغفران ص ٤٧ و١٠٦ و١١٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ٤٠٥
ـ بنت الشواطىء العربية (الدكتورة عائشة عبد الرحمن) : الغفران ص ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩
ـ عبد العزيز الميمني الراجكوتي : ابو العلاء وما ليه ص ٢٠١ و ٢٠٧ و ٢٢٥
٢ ـ ف٠ غابريللي : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١ م٣٣ / ١٩٥٨ ص ٣٨
ـ ٠ا بلوشيه : المصادر الشرقية للكوميديا الالهية ص ١٧٠
٣ ـ كامل الكيلاني : على هامش الغفران ص ٧ و ٨ و ١٠ و ٨٥ و ٩٨
٤ ـ قسطاكي حمصي : منهل الوراد في علم الانتقاد ج ٣ ص ١٨٥
ـ فؤاد افرام البستاني : ابو العلاء المعرى ـ رسالة الغفران ٠ الروائع عدد ١٧
٥ ـ الدكتور مصطفى صالح : مصادر ابي العلاء ـ النشرة الدراسات الشرقية للمعهد الثقافي الفرنسي بدمشق م ٢٢ / ١٩٦٩وم٢٣/١٩٧٠ ص ١٩٧ و ٢٠٢

الفصام العقلي والأدبي

هاني شموط

شعر قديم ، وشعر حديث ، ومعركة كبرى تبدو بدون نهاية طال النقاش فيها واحتد ، دون الوصول الى نتيجة تقنع طرفا من الاطراف، وأصبح ما يكتب ويقال حول هذه المعركة أكثر من الشعر نفسه .

نرى أن المعركة ليست بين قديم وحديث ، ان لها مسببات قد تكون خفية ، ويعتري المشكلة تخلف مركب معقد ، وما من أحد تجرأ فقال ان التخلف يجب أن يأخذ دوره كي يبدأ بالتقهقر ، مثل دورة بعض الامراض في الجسم ، يخرج بعدها أكثر مناعة ، أو يموت هو والمرض نفسه ، فيريح ويرتاح .

ان مناقشة الموضوع بذاته ، أمر يطول دون جدوى ولا يقوى على اصلاحه فرد أو مجموعة في مجتمع ، لاسباب أسوقها الى الاخوة القراء ، وهي من مجمل الآراء القابلة للنقاش .. والاسباب نفسية عامة تشمل الشعر وغير الشعر .

ان مرد كل مشكلة ، في حياة الانسان يعود الى حالة نفسية ، عقلية ، والشعر مثلا هو نتاج حالة نفسية يسعفها العقل ويتحكم في صحتها ، فان كانت المشكلة الحياتية للانسان تقبل الاخذ والرد جازت عليها مقاييس ومعايير يلقي علم النفس الضوء عليها ، فيساعد على معرفة الفوارق بين الحالات السليمة والمريضة ، منها ما هو ظاهر أو خفي ، شائع أو خاص .

ان التعبير عن كوامن النفس ، هو حالة نفسية يبعث على دفعها مسببات خارجية تحيط بالانسان ، والاديب والفنان كما هو معروف أكثر الناس قدرة على التعبير .

ان الحالات غير السليمة في التعبير يحللها ويعرفها الاطباء النفسيون ، بالمقارنة مع الحالة السليمة في التعبير وتعريفها ببساطة واختصار هي ما لقيت رواجا وقبولا لدى غالبية الناس يستجيبون لها بدرجات متفاوتة ، وهي حالة تصدر عن فرد قادر على التعبير عما بنفسه ونفوس الاخرين لامور مشتركة ، بشكل يلفت النظر يحمل تجديدا في الاسلوب والفكرة يلفه ترابط منطقي معقول .

تلك هي الحالة السليمة التي يتفق غالبية الناس على سلامتها وقبولها وأفضل نتاجها هو ما بقي خالدا يتمتع بديمومة على مر الاجيال، والامثلة كثيرة ومعروفة في التراث العربي الادبي والاجنبي من شعر ومسرحيات وروايات أو مؤلفات موسيقية جادة وغيرها .

ونرغب في التطرق الى سوق مثال مشابه ، لا نعني به الادب والفن مباشرة ، التشابه فيه هو التعبير عن النفس .

ان شذوذ التعبير الفكري هو حالة تدل على مرض نفسي ، الحالة الاولى يسمى مريضها مريض الدرجة الاولى في عرف الاطباء النفسيين ، اعراض الشذوذ الفكري عنده ليست دائمة ، تأتي قليلا وتختفي كثيرا ، تأرجحها بطيء ، مما يسمح لصاحبها بالقدرة على الاخذ والرد ، ثم الاقتناع ، وهو بذلك قابل للشفاء ، لانه قادر على الافصاح عن المعاناة ، مع توفر قدرة على المحاكمة الوجدانية حين العودة الى الوضع السليم ، وتلك حالة فصام طفيفة ، توصف (بالبداية) ، شفاؤها ممكن بسهولة .

الحالة الثانية يبدو المريض في نظر الاطباء من خلالها أبعد وعيا عن المشكلة التي يعبر عنها ، وهو أكثر ميلا للصمت من سابقه حيال مشكلته ، وما معظم الاحاديث العادية بين عامة الناس الا تنفيس عما يدور في الفكر من بواعث القلق خلال الحياة اليومية . فالصمت هنا أيضا حالة مرض ، يلجأ الاطباء الى تحليلها مساعدة للمريض ، وجلبه الى ساحة الشعور ، ويبدو تمسك المريض بأزمته تمسكا قابلا للتأرجح ، يقبل الاخذ والرد بصعوبة ، يحتاج الى وقت أطول في المعالجة ، والشفاء ممكن اذا عولج المريض في الوقت المناسب قبل استفحال أزمته ، وذلك فصام غير خطير .

الحالة الثالثة ، هي شذوذ التفكير عند المريض بوضوح ، التفكك ظاهر ، والمرض يسمى (بالايجابي) نراه أكثر قدرة على الافصاح لا يميل الى الصمت ، أفكاره التي يفصح عنها مغطاة برموز كثيرة مغرقة في الغموض ، لا نلمس تأرجحا أو ترددا في أفكاره ، بل صلابة وعنادا ، وأخطر ما في هذه الحالة عدم الاخذ والقول ، فالمريض هنا صخرة صماء ، ولا تلقى آراء الاخرين أو انتقاداتهم لديه أي اعتبار .

هنا يرى الاطباء النفسيون أن لا جدوى من طرق أساليب المعالجة المتبعة في الحالتين السابقتين .. اذ لا محاكمة عقلية عند المريض ، وتسمى هذه الحالة حالة جنون من نوع الفصام العقلي أبرز دلائل اشتدادها اتهام المريض من حوله بالخطأ والشذوذ الفكري ، بينما يرى نفسه على صواب يصم أذنيه عن كل ما سبق وعرفه في ماضي وعيه ، يستنكر كل شيء يراه الاخرون معقولا ، وهذا الفصام هو انفصال الماضي عن الحاضر الطارىء في فكر الفصامي ، انه لم ينس الماضي ، بل يرفضه ويتنكر له لانه هو سبب علته ، ويركن الى خواطر بركان آني متفجر يحمل أفكارا تبدو شاذة ،

متفرقة ، كل عبارة منها على حدة هي معقولة ولكنها بمجموعها فاقدة التسلسل والترابط ٠

ومن المعروف عن هذه الحالة أن المريض يرفض أقاربه ، فيراهم أشباحا أتت من غيهب سحيق ، لا يستمع اليهم ، بل يحتقرهم ، يعرفهم ولكنه يرفض الاستمرار في المعرفة ، وكل همه اسماعهم آراءه وتلقينهم كل ما يدور بخلده ، فهم في نظره لا يفهمون ٠٠

ويقول الدكتوران (ماير) و (جروس) في هذا المجال ما يلي : (اذا أشرنا الى التفكير الفصامي فانما نعني شذوذ عملية التفكير ذاتها ، لا شذوذ الافكار المعبر عنها) ٠

فالمريض يأتي بأفكار قد تكون جديدة أو معروفة ، تبدو معقولة للوهلة الاولى ، ولكنه يطرحها في وقت غير مناسب ، يضاف اليها ما أسلفناه من اغراق في الرمز ووضوح في عدم الترابط ٠

فرويد يوضح لنا بمثال بسيط حالة تفيد في هذا الحديث نلخصها فيما يلي : (حينما يلتقي رجلان في قطار ولا يعرف أحدهما الاخر يتجاوران في المقعد ، تدور في خلد كل منهما أفكار عديدة ، قد يرغب كل واحد في طرحها على الآخر من خلال محادثة تدفع الملل أثناء السفر الطويل ٠٠ هنا تطرأ فرملة سريعة ، تقودها محاكمة عقلية ، ينتظر بعدها كل واحد الظرف المناسب لبداية المحادثة) ، انتهى ٠

ومعلوم أنه في هذه الحالة يبدأ الحديث بكلمة مختصرة كأن يقول احدهما ان هذا القطار جيد أو رديء ، سريع أو بطيء ، أو ان المنظر يبدو من هنا جميلا ، أو أن المزروعات التي تبدو أمامهما تدل على موسم جيد ٠٠ فالرجلان هنا أمام حالة واحدة مشتركة ، لا رموز فيها ولا غموض ، تلك بداية في ظرف مناسب معقول يتقبلها الاثنان ، ثم يمتد الحديث الى عبارات أطول ضمن تسلسل معقول ٠٠ يصل الى أمور شتى عامة ، أما الشذوذ في هذا اللقاء فهو مثلا شكوى أحدهما للآخر عن متاعبه الشخصية ، وخلافاته مع زوجته أو حماته ٠

نرى هنا أن التسلسل المنطقي والاستطراد المعقول المتدرج يمكن التعبير عنه اذا لاحظ أحد الطرفين قابلية لدى الطرف الاخر ، أما الشذوذ فهو الاسترسال دون اهتمام الطرف الاخر ٠ ومريض الفصام يصدر عنه التعبير في ظروف غير مناسبة ، وقد يكون تصرفه في القول أو الفعل سببا في ايذاء الاخرين ، هنا لا بد من وجود حاجز ملموس هو أسوار المصحة العقلية وقضبانها ، يرانا المريض من ورائها أننا نحن السجناء وهو في عالم العقل الفسيح الحر ٠

يعترف أهل الطب النفسي بصعوبة معالجة هذه الحالة من التدهور الفكري ، وهناك معادلة رياضية تعين الاطباء على المتابعة ، مؤداها اكتشاف طرف مجهول هو معرفة ماضي المريض قبل فصامه وربطه بحاضره ثم البحث عن الهوة التي سببت الفصام مع المقارنة بمقاييس معروفة بين الحالتين ٠٠ يبدو ذلك عسيرا ، لعدم تمكن الطبيب في أغلب الاحيان من الالمام كلية بمجموع الافكار الباطنة السابقة للمريض ، الذي اندثرت من فكره كل الدلائل المساعدة في حالة الصحة فانقطعت الصلة ٠

بعد الذي أسلفناه ، ليس مفاجئا أن نعود الى البداية الى المعركة الكبرى ، معركة الشعر قديمه وحديثه ، وحسما للنزاع القائم وتوفيرا لآلاف المبررات المطروحة نرى حاجزا كبيرا كأنه القضبان أو الاسوار تحجز طرفين ، أحدهما يائس من شفاء قريبه وأخيه ، وثانيهما متمسك معاند وأسوأ من هذا نرى الاختلاط وتبادل الامكنة في أحيان كثيرة ، وذلك من باب التعاطف وتخفيف الازمة ، فلا نعرف اين أصبح الفصامي وأين استقر السليم ، بل نرى خليطا في الجانبين ٠

ان الفصام واضح في شخصيتنا الادبية الفكرية ، فالماضي والحاضر تفصلهما هوة سحيقة ، وما نفع الماضي ان لم يكمله ويحييه حاضر مجدد منبثق عنه ، هو صورة استمرار الحياة ؟ تلك هي الشجرة بجذورها وأغصانها الشابة الوفيرة يتوسط الطرفين جذع ضخم قوي ويربط بينهما ، الجذور في الماضي والاغصان ترقى الى الشمس غضة فتية جديدة متجددة ٠

ولكننا نحن تلك الشجرة التي فقدت الجذع ، فذبلت الاغصان ، والجذور أصبحت ثكلى ٠٠ الاغصان في حالة فصام وهناك من يسعى يائسا دون جدوى لاستبدال الاغصان الذابلة بأغصان غضة ، ولكنها ليست من الاصل ، سرعان ما تلقى الذبول والفناء ، ولا يجد الجذر يدا تستخرج منه طلعا جديدا ، بل يلقى الحرق والدمار ٠٠ أليست هذه حالة فصام ؟

ختاما أسوق رأيا صريحا الى كل أخ عربي مخلص يمسك القلم معبرا عن أفكاره ، فأقول أن لا فكر سليم طالما أن اللسان العربي الواحد مجزأ ممزق ، لان القصيدة التي تملك معنى ووقعا هنا تفقده هناك ، ومثلها العكس ، ويموت الجميع وتبقى الافكار مبعثرة ، يعتريها التفاوت والخلاف ، يندس بينها ما هو هجين مغرض ٠

أفكارنا تحتاج الى المسكن الفسيح الواسع في طول البلاد وعرضها ، لأن من يقبع منفردا يحادث نفسه ويتخيل أن الدنيا تصغي اليه هو ذلك المصاب بلوثة الفصام ٠٠٠ والافكار تحتاج الى ترابط وتسلسل ٠

لا فكر سليم الا بوحدة اللسان الواحد والفكر الواحد فلنحي الشجرة ، ننعم بظل أغصانها الوارفة الشابة نرى لها أصلا يضمن لها الحياة ٠٠ لقد آن لنا أن ندرك أن الاغصان اللقيطة المجهولة سريعة الذبول ٠

●● هاني شموط

في فلسفة الالفاظ

احسان محمد جعفر

الكلمة في ذاتها تحمل تاريخ الامة التي تنتسب اليها ، ونمت بصلة وشيجة الى فلسفتها في الحياة ، وتسايرها في نشوئها وارتقائها وتطورها ، وما الفاظ اللغات الا سمات ومعالم للشعوب ٠٠ وبعض اللغات تنفرد بألفاظ معينة تعطيها للعالم يتعذر وجود مثلها في بقية اللغات لانها تكون بضعة منها سواء أكانت مادية أم روحية ٠ وقد شحنت العربية لغات العالم بالفاظ الحضارة التي تتسم بطابعها ، كما انتقلت اليها الفاظ أخرى بعيدة عن فلسفتها اللغوية ونمط حياتها ٠

ومن ذلك كلمة «التاج» :

اذ لم تهتم المعاجم العربية برد كلمة « تاج » الى أصلها أو تقرر ما اذا كانت عربية محضة أم من الدخيل ؟ كما أغفلها الجواليقي في « المعرب » ٠ ونصت المعاجم الفارسية على أدعائها ، وذكرت أن أصلها بالفهلوي ــ وهو لسان الفرس القديم ــ تاك (بكاف فارسية مفتوحة) ٠

وترد كلمة التاج على صورتها هذه وبمعناها المتعارف عليه في العربية والفارسية والتركية والاردية والهندية والبنجابية والبنغالية والسندية ٠

كما ترد بصورة تاك ــ بكاف فارسية ــ بالارمنية و (تاغا) بالسريانية و (تادجك) بالاندونيسية ولغة الملايو ٠

والحاق الكلمة بالمفردات الفهلوية القديمة لم تجمع عليه معاجم اللغة الفارسية جميعا ، فقد جاء في (فرهنك نفيسي) وهو معجم فارسي يعول عليه : « تاج : مأخوذ ازتازي) أي كلمة التاج ماخوذة من اللغة العربية ٠

واذا كنا لا نرجح أن تكون كلمة (تاج) عربية صميمة ، فذلك لان التاج لم يكن معروفا عند العرب في جاهليتهم ، ولم يتعودوا عليه ولا استساغوا رمزه السياسي فقد كانت غالبيتهم من أهل الوبر ، والمثل العربي القديم كان يقول : « العمائم تيجان العرب ! »

لذلك عندما مدح ابن قيس الرقيات عبد الملك بن مروان بقوله :

يعتدل التاج فوق مفرقه
على جبين كأنه الذهب

لم يطب نفسا له ، وعاتبه في ذلك بقوله يابن قيس : تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب بن الزبير :

انما مصعب شهاب من الله
تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك قوة ليس فيه
جبروت ولا به كبرياء

وكذا الحال بالنسبة الى غير هذه الكلمة ، خذ مثلا كلمة (خنجر) هذا السلاح الغادر ! لقد كان هذا السلاح اختراعا يهوديا استعمله اليهود في غابر الازمان ! ولم يستعمله العرب قط ٠ قال شاعر يهجو رجلا يتسمى بخنجر :

ومن سخف الايام أنك خنجر
وشر سلاح المسلمين الخناجر

لذلك فكلمة خنجر ليست أثيلة في لغتنا ، انما هي من الدخيل المعرب اذ هي من سنخ فارسي مؤلفة من (خون) بمعنى دم وكر : علامة اسم الفاعل في الفارسية فيكون معنى الخنجر (صانع الدم) ٠

ولا أدل على ذلك من ان للسيف ــ وهو رمز الشجاعة والفروسية والاباء ــ في لغتنا العربية أكثر من سبعين اسما أو صفة بينما ليس للخنجر سوى اسم ليس بعربي النجار ٠

وخذ أيضا كلمة أخرى ، وبما اننا بصدد السيف والخنجر ، فلتكن (الخوذة) وهي ما يجعله المحارب على رأسه من حديد ليقيه ، واذا ما رجعنا الى معاجم اللغة فاننا نجد أن الكلمة ليست بعربية صرفة ، وذلك ليس بغريب فالعربي الاعرابي شجاع معتد بنفسه لا يعرف الخوف ولا الجبن وهو ان نزل لخوض غمار المعارك والمعامع لا يتهيب بوضع الحديد على رأسه كما يفعل العلج من العجم ٠

وقد اقتبس العرب هذه اللفظة من اللغة الابستاقية ، وهي احدى اللغات الايرانية القديمة ، مباشرة دون الاعتماد على قنوات لغوية أخرى ، اذ هي في الابستاقية بصورة (خودا) وقد وردت هذه اللفظة في الفارسية القديمة بصورة (خودا) وفي الفارسية الحديثة « خود » ٠

كما ترد في الاردية والتركية بصورة (خود) وترد أيضا بصورة مشابهة في كل من اللغات التالية : البشتية والبلوشية والسندية والسنسكريتية ٠

واذا ما بحثنا عن كلمة عربية محضة تعطي معنى (الخوذة) فاننا لا نجد كلمة ذات معنى متخصص بل نلقي كلمة عامة لها عدة معان متباينة هي « البيضة » ٠

فالكلمة هيكل تاريخي تحمل في جنباتها اشعاعا فلسفيا ينبض بالحياة ٠

اللاذقية — احسان محمد جعفر

خلق ليكون ملكاً

بقلم د. باغنول
ترجمة : عيسى فتوح .

(الجزء الاول)

كان هنالك مرة ملك يتمتع بسلطان عظيم ، وثراء عريض . ذات يوم قدم الى بلاطه شيخ بسيط ، له عينان زرقاوان صافيتان . قال الناس ان لديه القدرة على أن يقرأ حيوات الرجال في النجوم .

قال له الملك : حدثني شيئا عن نفسي .

قال الشيخ : عندما تموت لن يخلفك أحد من أسرتك والرجل الذي سيخلفك لم يولد مع ذلك بعد .

لم يسر الملك لدى سماعه هذا النبأ ، فأمر الشيخ بأن يغادر بلاطه ، وألا يعود مرة أخرى .

فكر الملك كثيرا بما سمع ، وبعد حين تزوج سيدة جميلة ، ونسي الشيخ . عندما تزوج الملك عم الفرح جميع الناس ، وأملوا بأن يرزق ولدا يمكن أن يغدو ملكا صالحا .

ذات يوم ركب الملك مع بعض أصدقائه ، وقصد الغابة ليصطاد الحيوانات ، فرأوا حيوانا كبيرا جميلا ، راحوا يطاردونه . ولما كان الملك يمتطي أفضل حصان ، فقد استطاع أن يسرع في الجري أكثر من سواه . وما هي الا غمضة عين ، حتى خلف الجميع وراءه . عندما أظلم الليل وجد الملك نفسه وحيدا في الغابة . لم يصطد الحيوان ، ولم يعرف أين هو ، أو كيف يمكن أن يجد منفذا للخروج من الغابة . قال في نفسه : انني ضائع تماما ، لا أعرف أين يجب أن أذهب . الظلمة الحالكة تلف الآن كل شيء . يجب أن أنام هنا في الغابة ، وغدا عندما تشرق الشمس ، سأبحث عن طريق أنفذ به من الغابة .

بدأ الملك يصنع لنفسه فراشا من العشب والاوراق ، لكنه قبل أن يتمدد للنوم ، نظر بهذا الطريق وذاك ، فلمح حينئذ نورا ضئيلا : كان نور المصباح في النافذة . ركب حصانه وسار باتجاه النور ، ولما اقترب وجد أن النور كان ينعث من خيمة رجل فقير . صرخ ففتح الباب رجل ضخم يرتدي ثيابا بالية .

قال الرجل : لا يمكنك أن تدخل الى هنا ، لأن زوجتي مريضة جدا ، وأخشى من احتمال موتها . انظر ، ان ثمة خيمة أخرى ، اذهب ونم فيها ، وسأحمل لك شيئا لتأكل وتشرب .

أثناء الليل أيقظت الملك صرخة حادة ، فخرج من الخيمة وتلفت حوله ، لكنه لم يستطع أن يرى شيئا ، فعاد واستأنف النوم ، وفي النوم رأى الشيخ بعينيه الزرقاوين الصافيتين يقف أمامه .

قال الشيخ للملك : تذكر طفل الرجل الفقير ، انه سيصبح ملكا في مكانك .

حينما أشرق الصباح استفاق الملك ، ثم خرج الى خيمة الرجل الفقير ، فوجد الرجل داخلها يبكي ، وهو ينظر الى جسد زوجته الميتة ، والى جانبها ذلك الطفل الصغير الذي ولد في الليل . كان الطفل حيا . نظر الملك الى الرجل الفقير ثم الى الطفل الفقير .

وبينما كان الملك يتأمل هذا المشهد الحزين ، سمع ضجة خارج الخيمة ، كانت أصوات أصدقائه فخرج للقائهم .

سر المرافقون اذ وجدوا ملكهم سليما ، فركبوا حتى وصلوا الى باب الخيمة ٠

قال لهم الملك : ان هذا الرجل المسكين قد ساعدني ، لذلك يجب أن نساعده لقد ماتت وزجته ٠ يجب أن نعطيه قليلا من الذهب ، ونحمل الصغير معنا ، حيث ستعتني به سيدات القصر ، ويحيا بيننا ٠

حينئذ عرف الفقير أن هذا الرجل انما كان الملك ٠

قال : أيها الملك أفعل كما تشاء ، انني لا العناية بابني ، لان أمه ميتة ٠

قال الملك لأحد خدمه ويدعى وليم : وليم ، اعط الرجل هذه الكمية من الذهب واجلب معك الطفل ٠

أعطى وليم الرجل القطع الذهبية ، ثم أتى بصندوق صغير ، ففرشه بالعشب اليابس ، أدخل الطفل في الصندوق وضع فوقه قليلا من العشب اليابس أيضا ، وكان هذا كل غطائه ٠

امتطى الملك حصانه ثم قال لوليم : اركب جنبي ، واستمع الى ما أود أن أقوله ٠

حالما انطلقا من الخيمة راكبين ، أخبر الملك وليم ما قد سمعه في نومه ٠ قال : لقد قال الشيخ ان هذا الطفل سيصبح ملكا بعدي ، وبما أنني أكره أن يصبح ملكا ، لذلك أريد منك أن تلقيه في النهر ٠

قال وليم : اذا كان الله يشاء في أن يصبح الطفل ملكا فسينقذه حتى ولو حاولنا قتله ٠

قال الملك : لا تكن أحمق ٠ أقذف بالصندوق رأسا على عقب ٠ ابق خلفي وافعل ما أقول ٠

سافر الملك وخلف وليم ، فرمى وليم الصندوق في النهر ٠ سمع صوت وقع الصندوق في الماء ٠ التفت خلفه ، فرأى الصندوق يطفو على صفحة الماء ، دون أن ينقلب ، والطفل يبكي ٠ حمل الماء الصندوق بسرعة بعيدا ٠٠

عندما وصل الملك الى بيته ، قابله أحد الخدم بوجه يطفح بالبشر ، وأخبره ما حدث أثناء غيابه في الغابة ، وهو أن الملكة قد أنجبت طفلا وطفلة ٠ سر الملك للغاية ، فأعطى الخادم مبلغا من المال ، ولم يفكر بطفل الرجل الفقير ٠

بعد أربعة عشر عاما ، وفي صباح يوم ، انفرد الملك في الغابة ليصطاد الحيوانات ، فشاهد رجلا وغلاما يقطعان الحطب ٠ كان الصبي أشقر الشعر ، أزرق العينين ، أما الرجل فكان أسمر اللون ، وذا عينين سوداوين ٠

سأل الملك : من ذلك الصبي ؟

هو ابني يا صاحب الجلالة ٠

قال الملك : انه لا يشبهك أبدا ٠ اذهب وأت بزوجتك الى هنا ٠ أريد أن أرى ما اذا كان يشبهها ٠

سآتي بزوجتي يا صاحب الجلالة اذا كنت ترغب ذلك ، لكنه لا يشبهها ، اننا ندعوه ابننا ، لانه يعيش دائما معنا ٠ ليس ابننا الحقيقي ، بل عثرنا عليه قبل أربعة عشر عاما ٠ انقذنا حياته ، ولا نعرف ما اذا كان أبوه أو أمه على قيد الحياة ٠

نظر الملك بامعان الى الفتى والخوف يملأ قلبه ، في حين انطلق الرجل ليأتي بزوجته ، وعندما رجع كانت تصحبه زوجته ، وهي تحمل صندوقا صغيرا بين ذراعيها ٠

التفت الرجل الى زوجته وقال : تكلمي وأخبري الملك قصتك ٠

« قصتي قصيرة جدا ، في يوم من الايام ، وقبل أربعة عشر عاما ، كنت أركب حماري على ضفة النهر ، عندما سمعت صرخة تشبه الصرخة التي يطلقها طفل رضيع ٠ تأملت في العشب الطويل الذي كان ينمو على ضفة النهر ، فرأيت صندوقا ، وفي ذلك الصندوق طفل صغير يبكي ٠ نزلت عن الحمار والتقطت الصندوق ، ثم حملته الى البيت ٠ سررنا به جدا لانه لم يكن لنا أية أطفال ٠ أطلقنا عليه اسم روبرت وهذا هو الصندوق الذي وجدته فيه ٠ اننا نحبه وهو يحبنا » ٠

عندما رأى الملك الصندوق ، عرف أنه كان قد رآه من قبل ، وأنه نفس الصندوق الذي رماه وليم في النهر ، وعرف أيضا أن الصبي كان هو الطفل الذي حاول قتله ٠

أعطى الملك للرجل وزوجته بعض المال ، ثم سافر والخوف يملأ قلبه ٠ عندما وصل الى البيت نادى وليم ، الذي كان لم يزل أحد خدمه ، وتحدث اليه بهدوء وقتا طويلا ، ثم أرسل معه رسالة الى الرجل الفقير ٠ امتطى حصانه وتوغل في الغابة ٠

وجد وليم في الغابة صبيا كان يحاول القبض على سمكة في النهر ٠ رفع الصبي نظره عندما أحس بمجيء وليم ٠ قال وليم : انني واثق من أن هذا الصبي هو الذي ولد ليكون ملكا ٠

حينئذ قال للصبي : أين هو الرجل الذي قابله الملك أمس ؟٠

انه أبي ، اتبعني وأنا سأقودك اليه ٠

عندما وصلا الى البيت ، دعا روبرت والده ٠ نظر والده الى وليم ، فعرف من ثيابه الجميلة أنه قد جاء من عند الملك ٠

قال وليم اقرأ هذه الرسالة ، انها من الملك ٠

أجاب الرجل : لا أستطيع القراءة ، لكن روبرت يستطيع ٠

قرأ روبرت الرسالة ، فاذا بها أمر لروبرت بالمثول

بين يدي الملك الذي يرغب في أن يعتني به ، ويرسله الى مدرسة جيدة •

قال الرجل بحزن : يجب أن نتصرف حسب أوامر الملك ، لكن لا تنس أن روبرت سعيد هنا للغاية •

قال روبرت : أنا سعيد هنا جدا • ليس لانسان في الدنيا أبوان لطيفان كأبوي • لا أريد الذهاب •

قال وليم : يجب أن تأتي ، فحياتك هنا ستبقى حياة رجل فقير • ألا تود أن تصبح متعلما ورجلا عظيما ؟ تعال معي •

قال الرجل الفقير : نعم ، يجب أن تذهب معه ، لكنني واثق من أنك ستظل تذكرنا دائما ، وربما ستحضر وتزورنا من حين لاخر •

قالت زوجته : نعم ، حاول أن تزورنا عندما تستطيع ثم طوقته بذراعيها وقبلته •

قال وليم : يجب أن تأتي الآن • ثم اقتاد روبرت الى حصانه • وبعد أن امتطاه ، طلب من روبرت أن يعتلي ظهر الحصان وراءه ، ثم انطلقا سوية •

حزن روبرت جدا لمفارقته أولئك الناس الطيبين الذين كانوا له موضع الابوين طوال حياته • شعر بادىء الامر بالتعاسة ، ولكن بما انه كان فتى يافعا ، والشمس تشع دافئة ، والطيور تغرد في الاشجار ، فسرعان ما استعاد شعوره بالسعادة •

بعد حين قال له وليم : انزل عن الحصان ، لانه تعب جدا ، ولا يمكنه حمل كلينا •

وهكذا نزل روبرت عن الحصان ومشى الى جانبه • توغلا في الغابة مدة طويلة ، حتى شعر روبرت بالتعب الشديد وأراد أن يرتاح •

أوقف وليم حصانه ونزل ، ثم جلسا كلاهما تحت شجرة ، وبعد حين استلقى روبرت وغرق في نوم عميق ، حينئذ تناول وليم حجرا كبيرا ورما به على الرأس • وبينما هو كذلك سمع ضجة : بعض المسافرين كان مارا • امتلأ قلبه بالخوف • وقف ثم قفز على ظهر الحصان ولاذ بالفرار ، ظانا أنه قتل روبرت •

عندما وصل لي الملك قال : لقد مات الصبي • لن يصبح ملكا أبدا •

(الجزء الثاني)

بعد مرور ست سنوات ، أمل الملك بأن تنجب الملكة طفلا ، لكن شيئا من هذا لم يحدث ، ولم تلد الملكة أية أطفال • خلال هذه المدة شبت ابنته عن الطوق ، وأصبحت فتاة بارعة الجمال • كانت لطيفة بقدر ما هي جميلة ، لذلك أحبها جميع الناس •

عندما بلغت الاميرة الثامنة عشر من عمرها ، توفيت أمها الملكة ، فحزن الملك وابنته عليها حزنا شديدا ، وقد أدى الحزن بالاميرة الى المرض •

قال لها أبوها : دورا ، يا ابنتي ، انك تبدين مريضة لذلك أرى أن أبعث بك الى « بيت الوردة » في الريف ، حيث الهواء النقي ، والحياة الهادئة كفيلان برد العافية اليك •

قال الملك : ابقي في « بيت الوردة » حتى أحضر ، ربما أجيئك بأمير لتتزوجيه •

ذهبت الاميرة الى بيت الوردة في الريف مع خادمتها ماري • كانت سعيدة في الذهاب ، لكنها لم ترغب في الزواج من رجل لم تره من قبل أبدا • وعلى كل حال فقد كان عليها أن تنفذ مشيئة والدها ، أملة أن يأتي لها بشاب لطيف وجميل المنظر •

سافر الملك الى مقاطعة أخرى ليبحث عن رجل يصلح زوجا لابنته • كان لحاكم تلك المقاطعة جيش لا بأس به ، وكان أحد ضباط ذلك الجيش شابا حسن الطلعة ، ذا شعر أشقر وعينين زرقاوين • عندما رآه الملك ظن أنه يعرفه •

سأل الملك الشاب : من أنت ، وأين موطنك ؟ أظن أنني أعرف وجهك •

قال الشاب : اسمي روبرت ، وهذا كل ما أعرف عن نفسي • قبل ست سنوات جيىء بي الى هذه المقاطعة • حملني أحد المسافرين ، حينما عثروا علي في الغابة وأنا بين الحياة والموت • حاول احد ان يقتلني ، فأصاب رأسي بضرر بالغ ، وهذا هو السبب في أنني لا أتذكر أي شيء عن نفسي • كل ما أعرف اسمي فقط •

هنا تأكد الملك من أن الشاب كان هو الصبي الذي أمر وليم بقتله • سأل حاكم المقاطعة عن هوية الشاب ، وعندما عاد الى مقاطعته اصطحب روبرت معه •

ذات يوم أرسل الملك في طلب روبرت •

قال : اذهب الى « بيت الوردة » ، وخذ هذه الرسالة اعطها للضابط قائد عسكري هناك • كن حريصا على أن تسلمها للضابط فقط ، ونفذ ما يطلب منك أن تفعله •

امتطى روبرت حصانه وسار عبر الحقول الى « بيت الوردة » • كانت أمام البيت حديقة كبيرة ، وعند بابها يقف جنديان •

عندما لمحا روبرت قال أحدهما : من أنت ، وماذا تريد ؟•

قال روبرت : انني أحمل رسالة من الملك ، يجب أن اسلمها للضابط •

قال الجندي : الضابط يتناول طعامه الآن ، وعليك أن تنتظر ، لكن بما انك تبدو تعبا ، لذلك أترك حصانك

هنا ، وادخل الى الحديقة لتجلس وترتاح ، وسأدعوك حينما يأتي الضابط ·

دخل روبرت الى الحديقة · كانت مكانا هادئا وجميلا، مليئا بالازهار والاشجار البديعة ، وكان بعض السمك الاحمر يسبح في مياهها · قضى روبرت فترة وهو ينظر الى السمك ، ثم شعر بالاعياء ، فاستلقى تحت شجرة وأغمض عينيه مستسلما الى نوم عميق ·

بعد وقت قصير دخلت الاميرة دورا ووصيفتها ماري الى الحديقة · مشتا قليلا فوق العشب الناعم الاخضر ، ثم جلست الاميرة لتأخذ قسطا من الراحة ، بينما راحت ماري تتمشى حولها منفردة · اقتربت من المكان الذي كان روبرت نائما فيه · عندما رأته توقفت ونظرت اليه بامعان · انها لم تر في حياتها أبدا شابا وسيما كهذا الشب ·

قالت : هذا هو الرجل الذي ستتزوجه الاميرة · ثم رجعت بسرعة الى المكان الذي كانت الاميرة تقف فيه ·

قالت : أظن أن أميرك قد أتى ·

قالت الاميرة دورا : ماذا تعنين ؟

قالت ماري : تعالي وانظري بنفسك · شاب ولا أجمل ، نائم · انه يبدو أجمل من أي أمير في الدنيا ·

حينئذ اقتادت ماري الاميرة الى المكان الذي يغفو فيه روبرت · غندما رأته دورا اختلج الحب في قلبها · قالت الاميرة في نفسها : لن أحب أي رجل آخر في حياتي · تسمرت في مكانها بعض الوقت ، تتأمله بلا ارتواء ، ثم أدارت بصرها الى ماري التي راحت تقرأ رسالة ، كانت قد سقطت من يد الشاب · ما ان أخذت ماري في قراءة الرسالة ، حتى أبيض وجهها من شدة الرعب ·

قالت الاميرة : ما تلك الرسالة التي تقرأينها ؟

خذيها واقرئيها بنفسك ، من المؤسف أن يحدث مثل هذا لشاب لطيف ·

أخذت الاميرة الرسالة وقرأتها ، وهذا ما قرأته : الى ضابطي في « بيت الوردة » أنا ، الملك ، آمرك بأن تنزل الموت بحامل هذه الرسالة · كل الاشرار يجب أن يموتوا مثل هذه الميتة ·

خافت الاميرة دورا جدا · نظرت الى ماري برهة ، ثم قالت : انتظري قربه حتى أعود ، فاذا نهض خبئيه ، ولا تدعي أحدا يراه ·

ركضت بسرعة الى غرفتها ، وتناولت قلما وقطعة نظيفة من الورق ، ثم جلست وراحت تكتب ، وهذا ما كتبته الاميرة دورا على الورقة : الى ضابطي في « بيت الوردة » · ابعث اليك بأطيب تمنياتي · أريد أن تتزوج ابنتي حامل هذه الرسالة · لا تنتظر ، دعها تتزوجه بسرعة · عندما أحضر ، يسعدني أن أجدهما زوجين · هذه هي أوامر ملكك ·

ثم عادت حينئذ الى الحديقة ، واطلعت ماري على الرسالة · وضعتا الرسالة في متناول يد الشاب وانصرفتا· جلستا تنتظران في جانب آخر من الحديقة ، وكلتاهما ترتعد من الخوف ·

قالت ماري : دعينا نتشجع · علينا أن ننهي ما قد بدأناه · أشعر في صميم قلبي بأنك سوف تجنين ثمار السعادة ·

بعد قليل سمعتا صوت الكلام · كان الضابط والشاب آتيين · قال الضابط : سعادة الاميرة ، هذه الرسالة من والدك الملك ، أرجو أن تقرئيها بنفسك ·

عندما نظر روبرت الى الاميرة ، طفح قلبه بالحب · انه لم ير في حياته شابة في مثل هذا الجمال · قرأت الرسالة ثم نظرت اليه ·

« سأكون سعيدة في أن أتصرف حسب أوامر والدي · ان هاتفا يهتف بي أننا سوف نجني قطوف السعادة معا · دعنا نتزوج غدا ·

دهش روبرت جدا عندما سمع مضمون الرسالة · قال : انني مستعد لأن أبذل حياتي في سبيل الملك ، وأخدمه حتى أموت · يرغب الملك في أن نتزوج ، وأنا على يقين من أنني سأحبك دائما وأبدا · هكذا ··

انظتر الملك يوما واحدا بعد ذهاب روبرت ، ثم امتطى حصانه ، وانطلق الى « بيت الوردة » ·

عندما اقترب سمع رنين أجراس ، ورأى كثيرا من الناس يرقصون في الحديقة · دهش جدا ولم يدر بماذا يفكر سار عبر الحديقة ، فرأى ابنته تمشي مع روبرت ، واليد في اليد ، وخلفهما ضابط الجيش· ما ان رأى روبرت ودورا الملك ، حتى توقفا ، واتجه الضابط ليساعد الملك في النزول عن حصانه ·

قال : أيها الملك ، لقد تصرفت كما أمرت ، وتزوجت ابنتك الاميرة من الامير روبرت ·

هتف جميع الناس من فرط السعادة، وقذفوا بقبعاتهم في الهواء ، وجلس الملك يرنو الى ابنته وروبرت · حينئذ أورقت على وجهه نظرة السعادة ·

قال : انها مشيئة الله · خلق هذا الرجل ليكون ملكا ·

تأبط الملك ذراع ابنته بيد وقبلها ، كما تأبط ذراع روبرت باليد الاخرى أيضا ، ثم التفت الى الشعب وقال : هذا هو أميركم الجديد · أعلم أن مشيئة الله قد قضت أن يكون ملككم · هذا هو أسعد يوم في حياتي · غنوا وارقصوا وعيشوا سعداء ·

صاح الشعب بصوت عال ، وراحوا يرقصون ثانية · تأبط الملك ذراع ابنته وذراع روبرت ، ومشى وسط الجماهير السعيدة في « بيت الوردة » ·

قصيدتان

نزار قباني

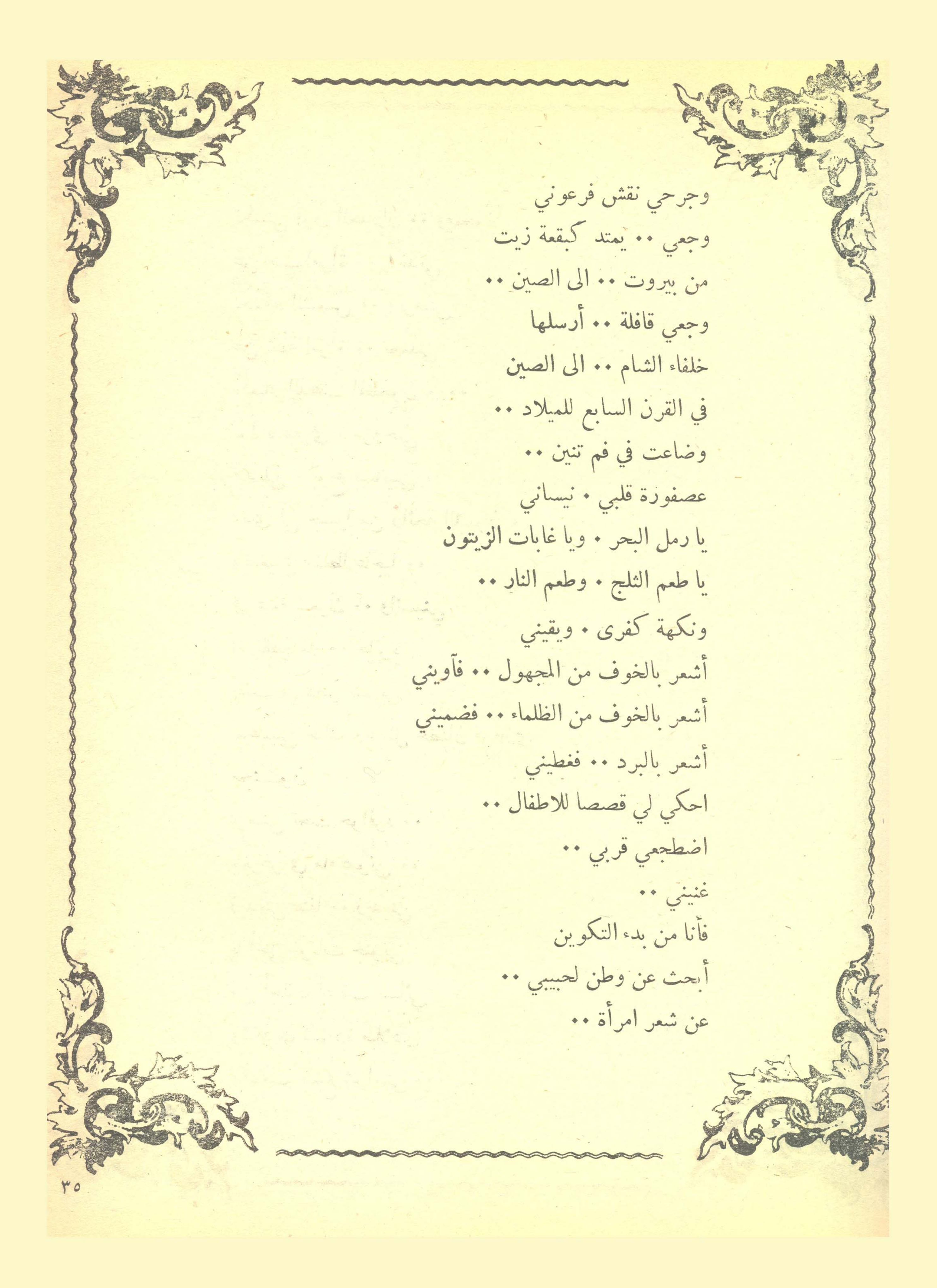
بلاغ شعري رقم ١

اياك أن تتصورى
أني أفكر فيك تفكير القبيلة بالثريد
وأريد أن تتحولي حجرا .. أطارحه الهوى
وأريد أن أمحو حدودك في حدودى
أنا هارب من كل ارهاب يمارسه جدودك أو جدودى .
أنا هارب من عصر تكفين النساء ..
وعصر تقطيع النهود ...
فضعي يديك . كنجمتين على يدى
فأنا أحبك .. كي أدافع عن وجودى ..
اياك أن تتخيلي
أني أفتش عن مغامرة ، وأسلاب . وعن غزو جديد
أوتحسبي .. أني سأحكم في الفراش بمفردى
لا فرق عندى ، ان أردت ولم تريدى ..
لا أنت من صنف العبيد .. ولا أنا أهتم في بيع العبيد
اني أحبك .. جدولا .. وحمامة
ونبوءة تأتي من الزمن البعيد ..
وقصيدة .. وعدت ولم تحضر
ومكتوبا غراميا يزقزق في بريدى ..

وأنا أحبك في طموح البحر ، في غزل الرعود مع الرعود
وأنا أحبك في احتجاج الغاصبين .
وفرحة الاحرار في كسر الحديد
وأنا أحبك في وجوه القادمين لقتل هارون الرشيد ...
هل تصبحين شريكتي .. في قتل هارون الرشيد ؟

جسمك خارطتي

زيديني عشقا .. زيديني
يا أحلى نوبات جنوني
يا سفر الخنجر .. في أنسجتي
يا غلغلة السكين ...
زيديني غرقا يا سيدتي ..
ان البحر يناديني
زيديني موتا ..
عل الموت . اذا يقتلني . يحييني ..
جسمك خارطتي .. ما عادت
خارطة العالم تعنيني ..
أنا أقدم عاصمة للحزن ..



وجرحي نقش فرعوني

وجعي .. يمتد كبقعة زيت

من بيروت .. الى الصين ..

وجعي قافلة .. أرسلها

خلفاء الشام .. الى الصين

في القرن السابع للميلاد ..

وضاعت في فم تنين ..

عصفورة قلبي . نيساني

يا رمل البحر . ويا غابات الزيتون

يا طعم الثلج . وطعم النار ..

ونكهة كفرى . ويقيني

أشعر بالخوف من المجهول .. فآويني

أشعر بالخوف من الظلماء .. فضميني

أشعر بالبرد .. فغطيني

احكي لي قصصا للاطفال ..

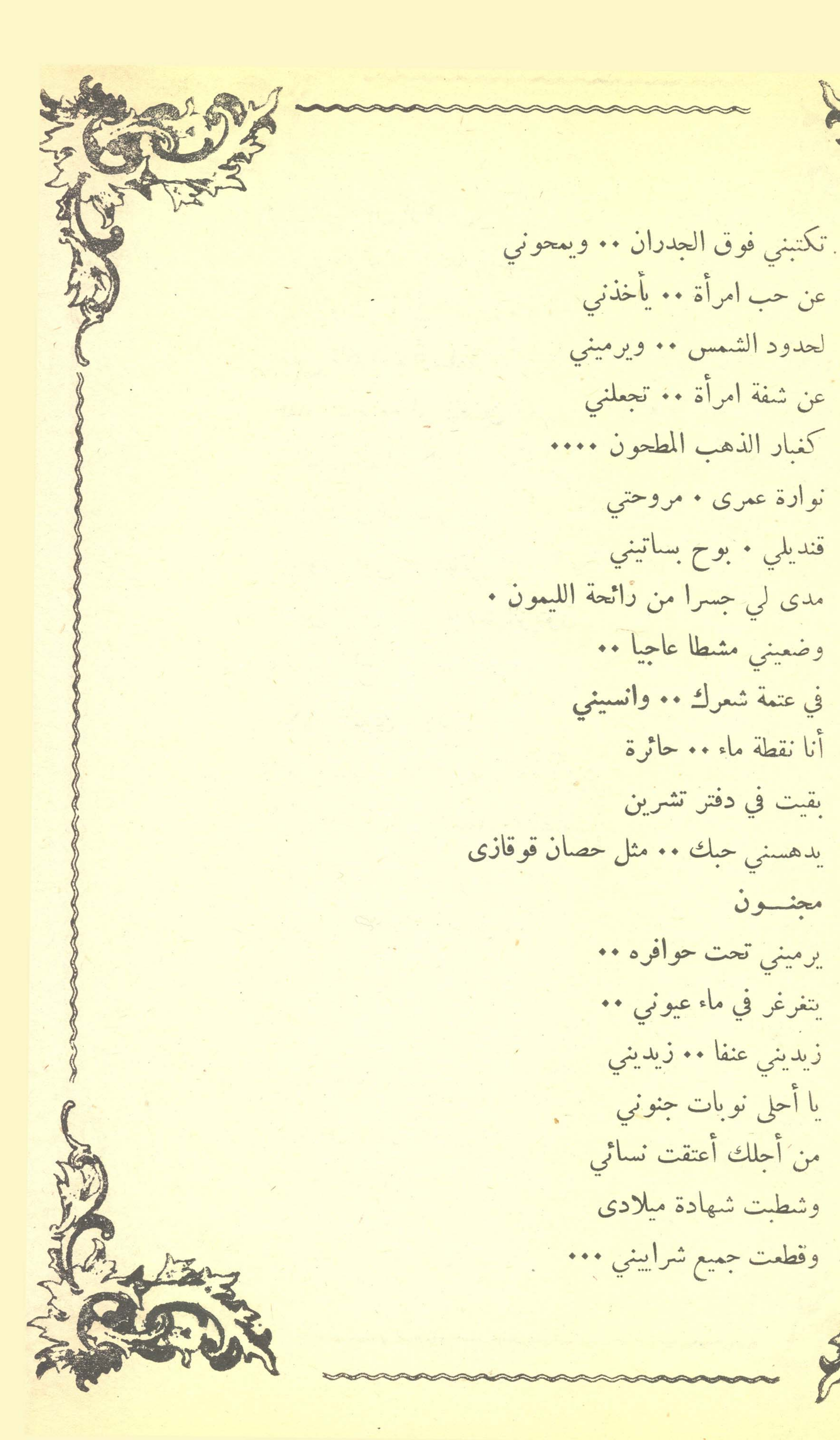
اضطجعي قربي ..

غنيني ..

فأنا من بدء التكوين

أبحث عن وطن لحبيبي ..

عن شعر امرأة ..



تكتبني فوق الجدران ٠٠ ويمحوني

عن حب امرأة ٠٠ يأخذني

لحدود الشمس ٠٠ ويرميني

عن شفة امرأة ٠٠ تجعلني

كغبار الذهب المطحون ٠٠٠٠

نوارة عمرى ٠ مروحتي

قنديلي ٠ بوح بساتيني

مدى لي جسرا من رائحة الليمون ٠

وضعيني مشطا عاجيا ٠٠

في عتمة شعرك ٠٠ وانسيني

أنا نقطة ماء ٠٠ حائرة

بقيت في دفتر تشرين

يدهسني حبك ٠٠ مثل حصان قوقازى

مجنـــون

يرميني تحت حوافره ٠٠

يتغرغر في ماء عيوني ٠٠

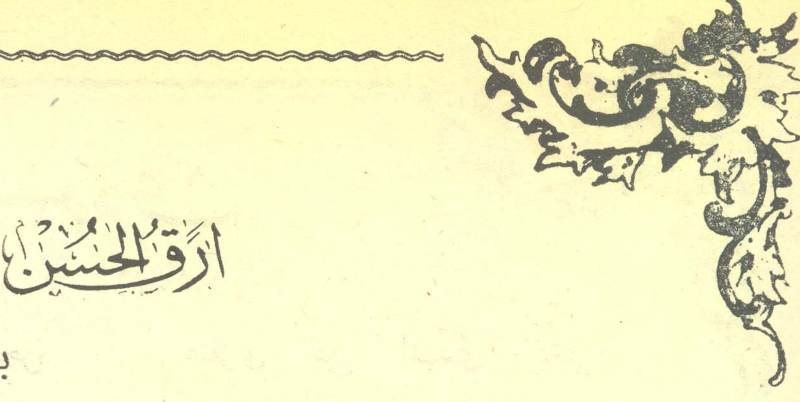
زيديني عنفا ٠٠ زيديني

يا أحلى نوبات جنوني

من أجلك أعتقت نسائي

وشطبت شهادة ميلادى

وقطعت جميع شراييني ٠٠٠



ارق الحسن

بشارة الخوري

يبكي ويضحك لا حزنا ولا فرحا كعاشق خط سطرا في الهوى ومحا

من بسمة النجم همس في قصائده ومن مخالسة الظبي الذي سنحا

قلب تمرس باللذات وهو فتى كبرعم لمسته الريح فانفتحا ...

ما للاقاحية السمراء قد صرفت عنا هواها ، أرق الحسن ما سمحا

لو كنت تدرين ما ألقاه من شجن لكنت أرفق من آسى ومن صفحا

غداة لوحت بالآمال باسمة لان الذي ثار وانقاد الذى جمحا

ما همني ولسان الحب يهتف بي اذا تبسم وجه الدهر أو كلحا

فالروض مهما زهت قفر اذا حرمت من جانح رف أو من صادح صدحا



بردى

انور العطار

بردى سلسل البقاء ولحن عبقرى على المدى يتغنى
رف بين الحقول نشوان هيمان وغنى الربا فجنت وجنا
مر كالعاشق المتيم بالروض وكالطير يسكب الروح لحنا

قص أسطورة الليالي الخوالي بخيالات شاعر ما تجنى

وروى قصة الغساسنة الغر وعهدا من بهجة الفجر أسنى

الاولى سطروا المحامد في الارض وعاشوا كرما وكاسا ومزنا

واستطابوا الهوى ولذوا الهناءات وعبوا النعيم دنا فدنا

سكروا رافهين سكرة عان لم يفق مهجة ولم يصح جفنا

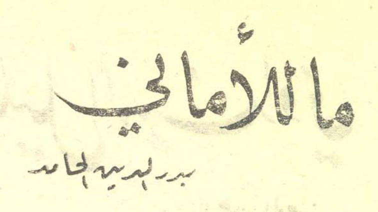
بردای الحبيب يا فرحة الروح ويا منية الهوى ما تمنى

يا شفاء القلوب يا كوثر الخلد وما منهلا يناسم عدنا

أنت نجواى ان أظلني الشجو وأنحى على سقما ووهنا

وردك العذب من أماني أحلى جرسك الحلو من أغاني أغنى

أنت تجرى في خاطرى وضلوعي وتعيد الحياة روضا أغنا



متع الصبا قد آذنت بزيال　　ما للاماني بعدهن ومالي

درج الزمان على الصبا وعهوده　　وبكت عليه عرائس الامال

ان الحياة هي الشباب فان ذوى　　فالمرء مردود لسوء مآل

يا سرحة الوادي سقاك على الرضى　　من دمع عيني دائم التهطال

كم في ظلالك من هوى وصبابة　　وحديث ذي دنف وطيب وصال

ونسائم العاصي تهينم فوقنا　　كالخود همت خفية بسؤال

يا سرحة الوادى اذكرى وتسائلي　　أيكون كل نعيمنا لزوال

كنا بأحلام الفتوة نرتمي　　فوق الردى ونقوم بالاثقال

ونرد عادية الزمان وكيده　　ونصاول الايام أى صيال

والان بالذكرى أعيش على المدى　　والله ما خطر السلو ببالي



خليل الهنداوي

شعر عبد الرحيم الحصني

مسارح الاهل أين الشعر والطرب ... وأين أين الطلى والحب يا حلب

عرفت حظي في مغناك مبتسما ... فمالي اليوم لا كأس ولا حبب

الاهل أهلي في الشهباء كلهم ... أخ كريم ، وأخت حرة ، وأب

أنى تلفت لا ألقى سوى نفر ... ساد الزمان بهم ، وازدانت الحقب

والامنيات خصاب ، والندى أمم ... والهم مبتعد ، واليمن مقترب

يا بؤس قلبي ما صافته عابرة ... من السوانح الا اغتالها الكرب

كأنني بين أمواج الضنى كرة ... تروح عجلى كما شاءت وتنجذب

بالامس همت وراء السامين أسى ... واليوم غاب خليلي ، وارتمى الارب

★ ★ ★

ماذا أقول بوجه بت أفقده ؟ ... وكنت بالامس من نعماه أكتسب

اذا جنحت الى السلوان عاندني ... وجد بمتقد الاعماق يلتهب

★ ★ ★

خليل خذ ما اشتهيت اليوم من شجني ... مثلي على الصحب من يبكي وينتحب

عشرون عاما قضيناها مرصعة ... بالنعميات فلا خلف ، ولا غضب

اثنان والروح في الآمال واحدة ... فالخير معتنق ، والشر مجتنب

رأيان ما اتحدا الا على سنن ... تاه البيان بها ، واختالت الكتب

كم وقفة لك دون الحرف صادقة ... يوم الضلال عتا ، واستفحل الكذب

وكم درأت عن الفصحى وحرمتها ... من السهام ، وكم أمسى لك الغلب
أزرى جوادك بالابعاد فانحسرت ... أمام وثبته الأستار والحجب
فكنت أسبق من في الساح ما انطلقت ... يمناك الا انجلت من تحتها الريب .

★ ★ ★

لا الشعر بعدك يشفيني ولا الخطب ... خليل أى المعاني عنك أجتلب
بيني وبينك ما لم يبنه أحد ... من الوفاء . وهذا بعض ما يجب
ألم نكن أخوين استنفدا زمنا ... مع التراث ، ولم يصرفهما التعب
والحاقدون على أمجاد أمتهم ... يا خجلة العرب من أوزار ما كتبوا
اني لأندب حظ الفكر في زمن ... كل المفاهيم باتت فيه تنقلب
أين الاصالة فيما نحن نشهده ... من الهراء ، وأين المجد والنسب
قد يطمحون ، وقد يصفو الزمان لهم ... وقد يقولون ما شاءوا وما ذهبوا
لكنما الشمس تبقى وحدها مثلا ... للنور مهما استبدت حولها السحب
أهبت يوم رأيت السيل محتدما ... بالتائهين ، فما حادوا ولا اجتنبوا
كأنهم خلقوا للغاصبين يدا ... لهدم كل بناء شاده العرب
راموا الجنوح سبيلا للثراء وما ... دروا كم افتقدوا من أجل ما اكتسبوا
خليل دع عنك لوم الغادرين بنا ... فكلهم بين راحات العدا لعب
نحن الحكايات . بل نحن الملاحم . بل ... نحن الاساطير . بل نحن الغد الخصب
غدا يقول بنا التاريخ قولته ... ويصفع الناس والدنيا من انقلبوا
يا ساكب الراح من سحر البيان أفق ... ما زال للوحي في كرم المنى عنب

ناديت بالفكر حرا وانتضيت لـه ... من الحروف نصالا .. دونها القضب
وجدت بالعمر للعرفان مرتضيا ... حليفك التوأمان الفقر والادب
ورحت توسع أجيال الزمان هـدى ... أين الاهلة من مسراه والشهب
فما برمت ولا أحجمت من عـوز ... من شـاقه الخلد . لم يستهوه النشب
يا ضيعة الفكر يجتاب الحياة أسى ... وبعـد فقـدانه تستنفر الخطب
ماذا على الدهر لو وفاك ذمته ... وأنت في جانبيه الواهب الحـدب
أيهمل الحر حيا ثم نذكره ... برائعات القوافي حين يغترب
خل الملامة واصفح يا خليل كمـا ... قضيت عمرك انسانا بما تهب
متارف العيش فاز الجاهلون بهـا ... ونحن حصتنا الآلام والسغب
خليل لا ترمني بالبخل ان عجـزت ... قيثارتي اليوم عما كنـت ترتقـب
خواطري غصة المحزون يعرفها ... في زحمة الخطب من من كأسه شربوا
والوحي متئـد . والشعر مغترب ... فالصدر متقـد . والصبر مبتعد
أجل قدرك أن يجزى بقافية ... ان الثناء قليـل حين أقتضب
خليل . ألف سـؤال عنك يوجعني ... ورحلة الموت سر كله عجب
نهاية تلك أم بدء لمن عبـروا ... هذى الحياة . وقلنا انهـا النـوب
من ذا الذى لم تقف آماله تعبـا ... أمام سر وراء الموت يحتجب
مجاهل ورد الاسلاف ساحتها ... وقبل أن يدركـوا أبعادها ذهبـوا
فيم اختلاف الملا والعمر مرحلة ... انا نـكابر والآجال تقترب
وأى معنى لعمر لا يؤول الى ... ذكرى على شـرف في الخلد ينتصب
نم هانئـا يا أخي فالخلد منتظـر ... خطاك . والملأ العلوى مرتقـب



ياسين فرجاني

يغفو الحبيب وأسهر قدر علي مقدر

يا للهوى .. طاغ تملك مهجتي ... لا يقهر

أنا عاشق ، بوحي غناء العندليب المسكر

ومواسمي عطر الربيع مع النسائم ينشر

يا سالبا قلبي ، فداؤك ما سلبت وأكثر

خذه وخذ عمري فأنت الغانم المستأثر

أمسي ويومي وغدي نذر لحبك ينذر

لا تزهر الدنيا اذا فيها الهوى .. لا يزهر !

لولا الهوى يخلو الضمير من الشعور ويقفر

ويكف عن دورانه زمن وتجمد أعصر

معنى الحياة وسرها ونعيمها والكوثر

بشعاعه يجلى الظلام ويستبان المضمر

يا حب موعدنا على جفن الصباح منور

لقيا .. بآمال الحياة وبالاماني تزخر

عد يا حبيبي وعدنا فجر وليل مقمر

هذى جفوني .. انما لك معبر اذ تعبر

لو أستطيع فرشت دربك بالدرارى تنثر

بالروح أغلي ساعة فيها تهل وتظهر!





عبد المطلب الأمين

عودي ، ولا تصغي لمرشكاتي ... فلقد حبست عن الهوى زفراتي

ردي علي هواك مجنون الرؤى ... بهج الكؤوس ، معطر السكرات

تزهو مطارفه بوشي غوايتي .. ... وتضوع شعلته بنور حياتي ..

شفتي وكأسك ظامئان ، فهللي ... للماجنين : الخمر والقبلات

وتخيري لحن الخلود ، تصوغه ... شفة الشباب ، وانمل الشهوات

يمضي العفاف ، ولم تبلغك المنى ... أحلامه ذهبية الغفوات

أتعود أحلام الصبا مقهورة ... عن معقل الطهر المنيع العاتي ..!؟

★ ★ ★

مالي وللماضي ، تثير شجونه ... هذي الشفاه الخرس ، بالبسمات

حسبي طوافا في دوارس عهده ... متعثرا ببلاهتي وأناتي ...

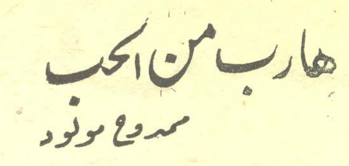
والذكريات أزاهر ، جفت على ... قبر الهوى ، ومصارع اللذات

ردي علي هواك ، جبار المنى ... صلب العواصف ، مبهم الغايات

لا تشفقي أن تستبد بمهجتي ... هذي الفتون ، وأن تلين قناتي

فاليأس علمني الصلابة في الهوى ... وغدا يؤالفني مع الحسرات

اشتاق فلسفة العذاب مربرة ... توحي الى عينيك بالنظرات



أيها الطيف الذى أزهر يوما في حيــاتي بالورود الناضرات
أيها الومض الذى أشرق يوما في وجودى بالنجوم الزاهرات
أيها الفجر الذى شعشع يوما في دروبي بالرؤى والامنيات
أين تمضي •• والفراديس التي أبدعت لا تظفر منا بالتفات
أين تمضي •• وظلال الامس ما زالت سكارى بمشوق الاغنيات
أين تمضي ••والوعود الخضر نشوى بالهاتيك الوعود الساحرات
أين تمضي أيها الهارب من ذكراك في شتى دروب الذكريات
أين تمضي أيها الهارب من آهاتك الحرى تلظى بالشكاة
أين تمضي هاربا من كل ما قد قلته لي في العهــود الغابرات
من ترى قد كان لي يهمس دوما : أنت دنياى وعمرى وحياتي
من ترى قد قال يوما : قدرى أنت ومهوى كل ماض كل آت
كنت في عيني أندى حينما كنت مشــوقا تلتظي بالحسرات
كنت في عيني أبهى حينما كنت رقيقا كالنــدى كالنسمات
كنت أسمى قبل أن يهوى قناع الزيف عن تلك الوعود الكاذبات
كنت لكن•• أنت، ذا أضعف من أن تقتدى في الحب بالشم الاباة
فارسا قد كنت في عيني لكن •• فارسا قد كنت دون التبعات
ربما قد كنت أغنى باحترامي لوفائي وكنوزى وهبــاتي
ربما قد كنت أسمى منك نبلا وجلالا باحترامي قدر ذاتي
فارتحل ما شئت •• فالحب الذى تبغيه لن تلقاه في دنيا حياتي

باقة شعر

اسعد حبيب يوسف

يا دارة الانس والاملاك والحور ... اليك باقة شعر من بواكيري
يا جارة النهر والصحراء ظامئة ... ترنو الى الحضريات المعاطير
حواسر غنجات الدل مترفة ... تحسو حميا الهوى بين المقاصير
أشفقت للظبيات السمر تشغفها ... نعمى الظلال وألحان النواعير
أفدي الظباء وقد أغفت على حلم ... حالي الرؤى عبق الالهام مخمور
يا جارة النهر هل حيتك خاطرة ... عذراء تحمل أنفاس الازاهير
لي فيك بين أحبائي حفيد هوى ... ناجى الالوهة من قلبي على الطور
« غزوان » لوحة شعر ناغم طبعت ... بخاتم من مليك الحسن ممهور
احنو على ثغره الريان محتسيا ... من خمرة الله في كأس من النور
يا للسلافة أجنيها وأرشفها ... بمترع من قطاف الشهد معصور
أحسست وهو يكاغي حين أحمله ... اني الربيع، وصدري عش عصفور
يا دمية حلوة في القلب أحضنها ... كالام تحضن أفراخ العصافير
يا حبة القلب يا أشهى الى ظمأي ... من ألف روض صبا بالحب ممطور
أرى بعينيك أحلامي فاحسبني ... في وارف من جنان الخلد مسحور
عيناك أجمل من ظل النخيل ومن ... عيني الاهة عشاق الاساطير
عيناك .. كلتاهما دنيا تطل بنا ... على ربيعين من ظل ومن نور
طوفت بين رؤاها خاطري فعلى ... آفاقها منه طيف غير منظور
أفديك بالروح لولا أنها اكتهلت ... في زحمة العيش من هول الاعاصير

مع الاحباب أوسمتي

احمد دوغان

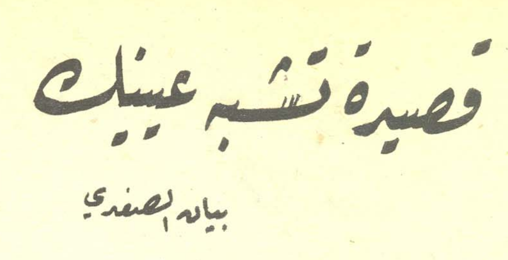
تناشدني بأن أبقى على فنني … فأشعر بالهوى يصفو ويسكرني
ويدخل في شراييني كأنسام … تردد في الجوى شوقا وتغرقني
و « شهبائي » بما فيها كأغنية … وصوت الاهل يحدوني ويملكني
فأحيا في ربى ماض وأحلام … من الايام والتذكار والزمن
فكم غنيت أصحابي وأحبابي … أهازيجا .. صبابات ... أتعرفني ؟
وتعرف أنني وله بأترابي … ومد الامس ابحار لدى سفني
أنا ما زلت أرضع حب فاتنتي … وما فيها من الاطياف يأسرني
وفاتنتي هي الشهباء أهواها … وأعشق كل ما فيها أتذكرني ؟

★ ★ ★

أنا يا قلب أوراق مسودة … وحرف الآه والاشواق يرسمني
لأني في دياجي الغربة الحبلى … أرى الآلام تغريني من الشجن
وكم عانيت من هم ولكني … أغني الصبر مزهوا على غصني
سيبقى البحر في رئتي وأعصابي … ويبقى البحر في سري وفي علني
وأطيافي تناشدني .. تذكرني … بأوداء .. وأشعاري تهدهدني

★ ★ ★

أنا يا صحب أغنية وأوتار … ورؤياكم أناشيد تؤرقني
فلا ظل يؤانسني ، ولا خل … ينادمني ، ولا عين تطاوعني
فأرحل دائما حيث الهوى يصفو … هناك الروح تهوى جنة السكن
مع الاحباب أوسمتي وشاراتي … فهم قلبي .. وهم عيني .. وهم أذني



أعددت للاحزان عدتهـا ... فتجــددت آلامي الاول

هـل تخصبين الارض في سهبي ... ليبرعم التحنان والامـل ؟

هـل تبعثين الضـوء في ظلمي ... يا ديمة بالقطـر تنتقل ؟

القلب بالآمـال مزدحـم ... والعين بالاشواق تكتحل

روحي اسـألي فالبحر يعرفني ... وتنصتي فتقودك الجمـل

وبك الوجود المر أغنية ... وبدونها الاعصـار والمحل

عمري من الاشواق زهوتهـا ... لا تتركي الايام تنسـدل

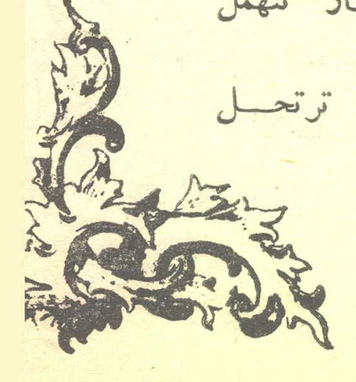
وأمـر من قدام بيتكم ... فترف لي الاطياف والغزل

ها انني قد عـدت معتـذرا ... وعواطفي الخرسـاء تشتعل

ألحزن في عينيك فاتحتي ... والشعر من عينيك يرتجل

وحديثك الانسـام عابقة ... بالعطر ، والامطـار تنهمل

سرب من الاشفاق نظرتهـا ... ومويجة خضراء ترتحـل





دولة قطر

بقلم: ابراهيم حريب

تفتح « الثقافة » نافذة تطل منها على الوطن العربي ومنها تنطلق فتجوب رحابه وتجوس دياره ، وتتعرف على الحياة فيه ، وترصد الحركات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، وتلحظ تطوره ومدى التصاقه بالحضارة الحديثة ، ولسوف تلتقط صورة من هنا وأخرى من هناك وتدرس وتمحص ، وتنقل كل هذا الى القارىء العربي .

وترى « الثقافة » أن تبدأ بالخليج العربي الذي يتمخض عن حركات فكرية أصيلة ، ويفرز تحولات اجتماعية وسياسية ، يريد أهلوه أن يتجاوزوا به عوامل تخلف ويزيلوا رواسب ماض ، ويسهموا في تطور الامة العربية لتأخذ سبيلها الى عزة ومنعة ، والى حضارة انسانية تؤكد فيها شخصيتها المميزة وقوميتها الاصيلة .

وتجد « الثقافة » في الذكرى الخامسة لاستقلال دولة قطر ، سانحة لتبحث أوضاع هذا البلد الذي يتخذ خطاه الوئيدة نحو مستقبل مشرق ، بعزم واناة .

•• الثقافة

— ١ —

« قطر » وعاصمتها « الدوحة » شبه جزيرة تبرز من الجزيرة العربية في وسط الخليج العربي ، وكانت جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب ، فزحفت اليها الرمال من الاحساء ، وترسبت فأوصلتها بالبر .

أرضها مسطحة تكسوها الرمال ، وتقل فيها الامطار وترتفع درجة الحرارة عاليا ، والمياه العذبة نادرة بعيدة الغور ، لكن واحات صغيرة تتناثر فيها تنبت النخيل والاعشاب ، وعلى شواطئها بعض السهول والمراعي ، وفي جنوبها كثبان رملية عالية تنبع في سفوحها مياه عذبة ، تعرف باسم عامرة .

وصفها ياقوت الحموي ، بأنها قرية في أعراض البحر على سيف الخط بين عمان والعقيرة ، وأحسب أن الثياب القطرية تنسب اليها .

وصف جرير فيافيها وحزومها وبعد غورها ، بقوله :

لدى قطريات اذا ما تغولت
بها البيد غاولن الحزوم الفيافيا

لكن قطر ، اليوم ، لم تكن كما وصفها الشاعر عبيد بن الطيب بقوله :

تذكر ساداتنا أهلكم
وخافوا عمان وخافوا قطر
وخافوا الرواطي اذا عرضت
ملاحس أولادهن البقر

— ٢ —

كان لقطر شأن في التاريخ القديم ، لكنه تاريخ يلفه الغموض ، فلم تسلط عليه الاضواء وما درس باحاطة وعمق ، غير ان بعثة دانمركية اكتشفت في شرقي البلاد ، قرب قرية « الماء » قبورا ورؤوس أسهم ونصالا وبعض رسوم قديمة ، ولعل مؤتمر الدراسات التاريخية للجزيرة العربية والخليج العربي الذي تستضيفه قطر بدعوة من اتحاد المؤرخين العرب ، ويشارك فيه ، الى جانب أساتذة من دول عربية واسلامية ، عدد من المستشرقين وعلماء التاريخ في جامعات عالمية ، ولعل الاكتشافات التي يظهرها التنقيب المستمر يزيلان الغموض الذي أكتنف تاريخها القديم . ان بعض العلماء يؤكد أن انسان ما قبل التاريخ عاش في هذه المنطقة قبل حوالي خمسين ألف سنة .

وتاريخ قطر السياسي لا ينفصل عن تاريخ الخليج العربي ، فهي جزء منه ، دخلها الاسلام في الوقت الذي فتحت فيه هذه المنطقة ، وتأثرت بكل العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تأثر بها الخليج العربي .

أما تاريخها السياسي الحديث ، فانها كانت جزءا من البحرين ، احتلها العثمانيون عام ١٨٧٠ وأخرجهم منها البريطانيون واحتلوها هم في عام ١٩١٥ ، وعينوا فيها مقيما عاما في عام ١٩١٩ فأصبح وضعها السياسي مماثلا لواقع الامارات العربية المتصالحة ، بعد أن فرض المقيم البريطاني على أميرها يومئذ ، معاهدة شبيهة بما فرض على تلك الامارات .

وبقي الاحتلال البريطاني بفرض سلطانه ويمارس سلطاته الى أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .. هذه الحرب ، ككل حرب ، أفرزت تحولات جديدة ، غيرت خارطة العالم الجغرافية والسياسية والاجتماعية ، ولعل أهم هذه التحولات التي برزت في المنطقة العربية ، كانت زرع اسرائيل شوكة في قلب الوطن العربي ، تدميه وتقض مضاجعه ، فكانت يقظة الضمير العربي على هذه المأساة التي ضيعت وطنا وشردت شعبا ، هي التي رسمت طريق الكفاح المستمر ذي الجوانب المتعددة من سياسية واجتماعية وعسكرية ، وكانت قطر واحدة من الاقطار العربية التي تأثرت بهذا ، والتي أخذ نضالها سماته البارزة ، فانتزعت استقلالها من براثن الاستعمار ، وأعلنته رسميا في الثالث من أيلول عام ١٩٧١ ، وأخذت مكانها في جامعة الدول العربية بين شقيقاتها ، وانضمت الى هيئة الامم المتحدة ،

لكنها لم تشأ أن تنضم الى دولة الامارات العربية المتحدة.

تلك لمحة موجزة عن تاريخ قطر السياسي .

ـ ٣ ـ

واكتشف البترول في قطر ، وكانت له قصة ..

انها ليست قصة التنقيب عنه واكتشافه واحتكاراته، انها ليست كونه طاقة هائلة أثرت بالحضارة وبحياة العالم كله ...

انها ليست قصة الصراع الحاد العنيف ، العلني والخفي ، المتعدد الاطراف والجوانب ..

بل هي قصة الحياة والحضارة في هذا البلد وفي كل بلد عربي نبع في أرضه .. هي قصة الذين امتلكوه ، فأحسنوا استغلاله ، والذين لم يحسنوا .

انها قصة تأثيره في تغيير تفكير الانسان ونفسيته وتبديل طراز حياته وعيشه .

انها قصة تفاعل قطر بالاحداث التي برزت في الوطن العربي ، وتفاعلها مع الاحداث العالمية .

هي قصة التحولات التي ظهرت في هذا البلد ووضعته في عتبات التقدم والحضارة .

انها قصة جديرة بالدراسة والتبصر .

فما هي ..؟

ـ ٤ ـ

منذ أن تحررت قطر من الاستعمار البريطاني الذي ظل يجثم على قلبها حينا من الدهر لم يكن قصيرا ، أخذت تنظر بعين الى واقع مؤلم ، وبعين أخرى الى مستقبل لا تريده يستمد من الماضي ظلمته ، وانما تريده مشرقا يمنح الخير ويقوم من حياة الناس. فاتجهت في طريقين يتلازمان ويتفاعلان مصيريا .

فالاتجاه الاول ، كان قوميا تؤكده وشائج من دين ولغة وتاريخ ، فانتسبت الى جامعة الدول العربية ، وتأثرت بجميع الاحداث التي ظهرت على الساحة العربية وأثرت بها ، وأسهمت بكل نشاط سياسي واجتماعي اقتضتهما طبيعة المرحلة التي تمر بها الامة العربية في صراعها العنيف ضد التيارات الاستعمارية ومحاولات الاحتواء التي عكستها مأساة فلسطين وما نتج عنها .

وثمة أمر يبدو غريبا على المراقب السياسي ، هو أن قطر لم تنضم الى دولة الامارات العربية المتحدة ، بالرغم من ارتباطها المصيري بدول المنطقة .

ان أمير قطر ، سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، كان أحد أصحاب فكرة اتفاقية دبي التي عقدت في عام ١٩٦٨ ، وبموجبها قام اتحاد يضم تسع امارات من بينها قطر ، لكنه ما لبث أن انفض ليأتي على انقاضه اتحاد جديد يضم سبع امارات ، لم تكن قطر واحدة منها ، بالرغم من ايمان أميرها الراسخ بأن الاتحاد بين دول الخليج العربي ضرورة مصيرية تحتمه المصالح المشتركة العليا لكل المنطقة وللوطن العربي جميعه ، وبالرغم من أن سموه يرى ، ويرى معه شعب قطر ، أن الوحدة أو الاتحاد سبيل القوة والمنعة ، ولبنة أساسية للوحدة العربية الشاملة ، وبالرغم من التزامها الصحيح المجدي بكل القضايا القومية .

فهل كان جنوح « قطر » الى الاستقلال في معالجة شؤونها الداخلية ، هو الذي جعلها لا تنضم الى الاتحاد ، أم ان رغبتها بعدم الارتباط بمنظمات اقليمية داخل جامعة الدول العربية ، قد يحد من تصرفاتها الوطنية في معالجة ما خلفه الاستعمار في المجتمع القطري ، لتنهض به وفق استراتيجيتها العامة ؟..

أما الاتجاه الثاني ، فقد كان وطنيا ،

ان « قطر » ورثت تركة مثقلة برواسب سياسية واجتماعية وثقافية خلفها الاستعمار ، وكانت عميقة الجذور ، متعددة الجوانب .

كان اقتصادها ، قبل اكتشاف البترول ، يعتمد على صيد اللؤلؤ ، وقد بارت تجارته بظهور اللؤلؤ الياباني الاصطناعي ورخص ثمنه ، وعلى صيد السمك والاسفنج ، وكان البريطانيون يحتكرونه ، والتجارة التي كان يمارسها بعض القطريين ، وتقوم شيئا من اقتصاد البلد ، ما كانت تمارس بالقدر الكافي لتركيز اقتصاد مبني على أسس ثابتة متينة ، والبحر الذي تطل عليه ، كثيرة خلجانه ضحلة مياهه لا تساعد على بناء موانيء صالحة لرسو السفن الكبيرة ، وليست أرضها كلها قابلة للزراعة ، والتعليم كان نطاقه ضيقا ، أما الحياة الاجتماعية فقد كانت بدائية ، أناس في مدن هي أشبه بالقرى ، وأناس في ريف مهمل ، واخرون يجوبون البادية بحثا عن ماء وانتجاعا للكلأ ، هما نادران .

كل ذلك ، جعل الحياة في قطر ، قبل استقلالها ، قاسية مريرة ، فيها ضنك وشظف عيش ، وفيها جهل وفقر .

ـ ٥ ـ

لكن الامر أصبح اليوم مختلفا جدا في كل الاوضاع العامة والخاصة ، تباين في الحياة ، واختلاف في العيش ، بين ماض وحاضر ، ورؤية جديدة متبصرة لماض وحاضر ومستقبل ، امتلاك لحرية كانت مسلوبة ، وهيمنة على اقتصاد كان يبتزه المستعمر ، وتحرر ارادة كانت مغلولة ، تهدف الى تغيير حياة الانسان .. الانسان الذي هو العنصر الاساسي لكل تطور حضاري ولكل تنمية اقتصادية واجتماعية . فقد يتعلم الانسان ، ولا يبقى أميا ، وقد يشيد له مسكن صحي مريح ، ويتبدل ظاهر حياته وتتوفر له الرعاية الصحية ، لكن ذلك لا يكون كافيا .

ان الاساس في الانسان العربي بعامة ، والخليجي بخاصة ، أن تتبدل عقليته وتتغير نفسيته ، بما ينسجم مع التطور الحضاري ، ويتفاعل بقوة بالغة مع المعطيات

الجديدة ·

وانه من المهم أن يوضع الانسان في مناخ حضاري ومدني ، لكن الاهم منه ، أن يكون الانسان نفسه حضاريا بروحه وعقله ، مدنيا بسلوكه وممارساته ، فالانسان هو الذي خلق الحضارة وطورها ، والحضارة هي التي طورت عقل الانسان وصقلته ·

من هذه المنطلقات ، كانت الرؤية في قطر ثابتة تسعى الى تبديل جذري لعقلية الانسان القطري ونفسيته ، بما يتناسب مع تطلعات الانسان العربي بعامة ، الى مستقبل يترسخ فيه فكر قومي سياسي واجتماعي ، يستوعب مشاكل الحياة ، ويكون قادرا على الاخذ والعطاء ·

ومن هذا كله ، رسمت الدولة استراتيجيتها للتنمية الاجتماعية والاقتصادية لكي تتخطى الحواجز والسدود القائمة ، أو تلك التي تظهر على الساحة عند التطبيق العملي ، وانها لرؤية صادقة ، أعطت نتائج مرضية وحاسمة ·

— ٦ —

لقد أخذت قطر ترنو الى اقامة دولة لها مقوماتها السياسية وتنظيماتها الادارية ، فأعلنت الدستور ، وهو مرن وقادر على استيعاب الفكر الدستوري السليم والتنظيم الاداري والحقوقي ، من أجل الانتقال الى مرحلة تكون أكثر عمقا وأشد رسوخا وأغزر عطاء للانسان الذي يحيا في ظل هذا الدستور ·

والدستور هو الذي رسم للحياة الجديدة اسلوبها ، ومنه انطلقت مفاهيم لمناهج الحكم الذي ظل هدفه خير الناس وحريتهم وتبديل حياتهم بما هو أفضل ·

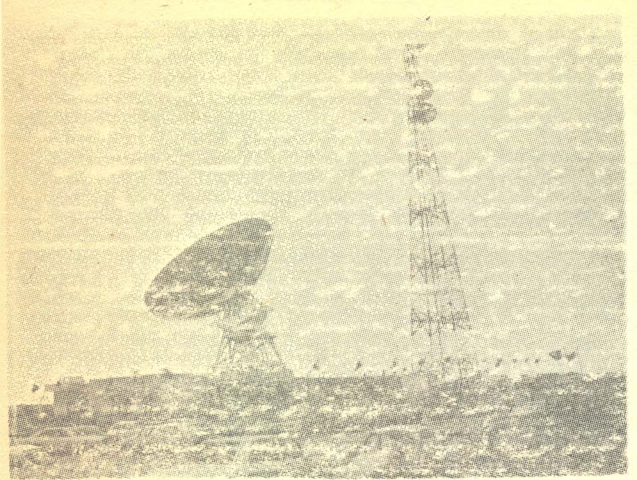
والدولة ، وان لم تتوسع باحداث وزارات ، فانها قد جمعت عدة اختصاصات في وزارة واحدة ، بمقدار تماثلها وبالقدر الذي اقتضاه الواقع الجغرافي والسكاني والامكانات المتوفرة لسد حاجاتها التي تتزايد ·

ولقد كان الاعلام والتعليم والشؤون الاجتماعية ، أهم ما انصرف اليه الاهتمام ·

ففي مجال الاعلام ، أحدثت له وزارة في عام ١٩٧٢ ، تضم أربعة أقسام ، هي :

١ — الاذاعة والتلفزيون ، فالاذاعة أحدثت منذ قبل ، وكان بثها ضيقا في نطاق محدود ، فتوسع ، والعمل يجري ، الان لتنفيذ مشروع لاذاعة تسمع الوطن العربي والعالم ، صوت قطر · أما التلفزيون ، فقد بدأ بثه في عام ١٩٧٤ ، وقد ربط من جديد بالاقمار الصناعية ، وقد استطاعت قطر التقاط البث التلفزيوني العالمي ، لتعيد بثه في نفس المجال ·

٢ — المطبوعات ، يتولى هذا القسم نشر المطبوعات المحلية والصحف والمجلات ، ومراقبة المطبوعات التي تدخل البلاد ، لاستبعاد ما يشوه التراث ويسيء الى الاخلاق العامة أو يضر بالمفاهيم القومية والوطنية ·



المحطة الارضية للاتصالات عبر الاقمار الصناعية التي تربط قطر بالعالم واحدى مقومات الدولة العصرية ···

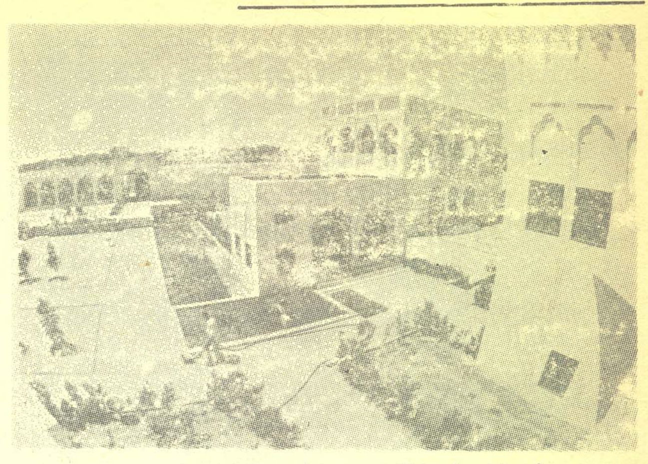
ولقد تقرر انشاء مؤسسة قطرية للصحافة ، تصدر عنها صحف ومجلات ، وبدأت الدراسات الهادفة في وزارة الاعلام ، لتأسيس مطبعة حكومية حديثة ، لتقوم بطباعة ما تحتاج اليه الدولة ، وما تصدره من صحف ومجلات · وتصدر الان في قطر مجلة الدوحة والفجر والعهد وغيرها ·

٣ — الثقافة والفنون ، وهو يرعى الثقافة العامة والفنون الشعبية والمسرح ، ولقد تم بناء مسرح حديث ، تمهيدا لانشاء فرقة وطنية للغناء والتمثيل ·

٤ — الآثار والسياحة — لقد تم مسح شامل للمناطق الاثرية في قطر ، لوضع خطة للتنقيب عن الاثار ، والتعرف من خلالها على تاريخ البلاد ، ولهذه الغاية شيد متحف يضم الاثار التي اكتشفت ، وما قد يكتشف ، كما يضم أقساما لمراحل التطور التاريخي الذي مرت به البلاد منذ القديم ، وانشأت فيه بحيرة ترسو فيها نماذج من سفن وزوارق ، كانت تمخر عباب الخليج والبحار ، الى جانب متحف للاحياء المائية ·

ورسمت خطة لاستغلال الشواطيء والاماكن الاثرية سياحيا ، باقامة فنادق من درجة ممتازة ، ومنشآت سياحية أخرى ، لاستقبال السائحين ·

أما في مجال التعليم ، فان قطر لم تنل منه في الماضي نصيبا يذكر ، فالامية متفشية والجهل سائد ، ولقد قامت محاولات وبذلت جهود كبيرة لتغيير هذا الواقع المؤلم ، فانشأت المدارس في المدن والريف ، لكل مراحل التعليم ، وهو مجاني ، مما أعطى هذه المدارس قدرة على استيعاب أكبر عدد من الطلاب ·



فن المعمار القطري ، أحد أبرز ما يحتويه متحف قطر الوطني ..

وبسبب النقص الكبير في عدد المعلمين، تعاقدت الدولة مع مدرسين عرب ، وفي خطتها تحقيق الاكتفاء الذاتي ، فأنشأت كليتين للتربية، تعدان المعلمين وتؤهلانهم للتدريس وكانتا نواة الجامعة القطرية التي بدأت تؤدي مهمتها التعليمية ، وفق برامج مستوحاة من أرقى الجامعات في العالم ق وتضم عشرين قسما .

والدولة ترعى الشباب ، فهم عماد المستقبل وعدته ، فأنشأت لهم مدينة رياضية ، سوف ينتهي العمل من بنائها عام ١٩٨٠ ، لتستقبل الرياضيين ، يتلقون تدريباتهم ويمارسون رياضتهم .

وكان للشؤون الاجتماعية حظ من الاهتمام كبير ، فتوفر العمل لجميع العمال بظروف مناسبة وأجور متكافئة وكانت الرعاية الصحية شاملة للجميع، فأنشأت مستوصفات تضم أطباء من مختلف الاختصاصات ، وشيدت المساكن الشعبية ، ووزعت على ذوي الدخل المحدود ، وفي خطة الدولة تشييد المزيد منها ،لتكون بديلا للمساكن القديمة التي لا تتوفر فيها شروط صحية ولا سكنية .

— ٧ —

ولا بد من نظرة الى المستقبل في ضوء معطيات الحاضر .

ان قطر تعتمد كليا في اقتصادها على البترول الذي أشارت الدراسات الى عدم استمرار تدفقه والى أن احتياطيه الكامن في جوف الارض ، سوف ينضب ، ولن يكون مجديا الاعتماد على هذه الثروة وحدها في رسم سياسة اقتصادية متطورة وشاملة تبقى بعيدة عن المخاطر .

ان الاتجاه الجديد قد انصرف الى وضع خطة شاملة لتركيز الاقتصاد على أسس ثابتة ، مراعاة للتزايد السكاني وتأمينا لمستوى رفيع من الحياة ، ومسايرة للتطور العام العالمي ، وتشمل هذه الخطة ، الصناعة والزراعة ، ولوضع هذه الخطة موضع التنفيذ ، تم مسح اقتصادي شامل لقدرات البلاد الجغرافية والسكانية ، ولحاجاتها المتطورة والمستقبلية .

ففي البلاد ثروة سمكية هائلة ، لا تستغل بالقدر الكافي الا محليا ، وترمي الخطة الجديدة ، الى الاستفادة من هذه الثروة ، بصيد السمك وتعليبه وتصديره ، الى جانب تنمية الثروة الحيوانية التي تفتقر اليها البلاد لتامين حاجتها من اللحوم وغيرها .

أما الغاز الطبيعي ، فيعتبر الى جانب البترول ، مصدرا هاما للطاقة ، وقد بدء باستغلاله في التصنيع ، لتغذية معامل الاسمنت التي أحدثت مع مصانع لمواد البناء الاولية كالطابوق والرخام والالمنيوم واستغل الغاز في توليد الطاقة الكهربائية لانارة المدن ، وبدء بتحضير مشروع لانارة الريف كله ، ومشروع لتحلية مياه البحر ، وبرزت بدايات هامة لصناعات أخرى ، كصناعة المواد الغذائية، مثل الدقيق والخبز والحلويات .

ولقد تعاقدت حكومة قطر مع فرنسا ، على اقامة مشروع للبتروكيميائيات ، برأسمال قطري — فرنسي ، وقد بوشر باقامته ، وسينتهي العمل من تشييد مصانعها في في عام ١٩٨٠ ، لتبدأ الانتاج .

أما الزراعة ، فلها شأن آخر .

عرفنا مناخ قطر الصحراوي، وعرفنا طبيعة أراضيها ومدى صلاحها للزراعة ، وندرة المياه ، وبعد غور الجوفية منها ، وقلة الامطار لكن بعض هذا أو كله ، لم يكن ليثني دولة قطر ، عن التفكير باستغلال ما يمكن استغلاله، وزراعة ما يمكن زراعته من أراضي .

لقد تم مسح شامل لجميع أراضي قطر ، وصنفت كما يلي :

١ — أراضي ذات صلاحية عالية للزراعة ، وهي ما تعرف بأراضي « الروضات » ، وتقع في المنخفضات .
٢ — أراضي متوسطة الصلاحية .
٣ — أراضي صالحة للزراعة تحت ظروف خاصة .
٤ — أراضي لا تصلح للزراعة .

ومن هذا التصنيف ، توسعت الزراعة بعض الشيء ، فحفرت الآبار الجوفية ، وأقيمت مزرعة نموذجية ، أصابت حظا كبيرا من النجاح في زراعة الخضار والفواكه وغيرها.

* * *

هذه لمحة قصيرة وسريعة عن « قطر » الدولة العربية الناشئة ، التي تريد أن تأخذ مسيرتها في الركب الحضاري، لكن هذه اللمحة لم تستوعب شؤونها وشجونها كلها ، فثمة أمور وقضايا لا بد من بحثها باستفاضة ، كالحركة الفكرية والثقافية ، والتنمية الاجتماعية ، والركائز التي تعتمد عليها التنمية الاقتصادية ، ولنا عودة الى دراسة هذه القضايا ، في القريب .

للبحث صلة — **ابراهيم حريب**

لقاء مع الدكتور خفاجي

اعداد سلمان هادي الطعمة

يعد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي من أقدر الكتاب المصريين في تاريخ الادب العربي الحديث • انه قوة ثقافية نادرة • مفكر ومجدد موهوب ، مؤمن بفكرته ، مخلص لرسالته • ويرجع الى الاستاذ الخفاجي الفضل في نجاح جهود « رابطة الادب الحديث » في القاهرة ، وفي ابراز خير مآثر الادب المصري والتنويه بشعراء البلاد العربية وآثارهم الخالدة• وهو في مصر مبعث حركة أدبية بما أخرجه من آثار ودراسات فكرية شاملة • نلمح في نقده الروح الصافي وتوخي الانصاف واستقصاء الحسنات والتنبيه في لباقة وهدوء الى الاوهام والأخطاء • لذا فهو جدير بالدراسة والتقدير • فمن حقه علينا أن نؤدي واجب الانصاف نحو أعماله الحية لنصرة العلم والادب والفن ، وخدمة العروبة والاسلام •• كان لقائي به في داره بالهرم مساء يوم ١٩٧٥/٨/١١ ودار بيننا الحوار التالي ••

س ١ : منذ متى بدأتم تشاركون في الحياة الفكرية والادبية ؟

ج ١ : منذ عام ١٩٣٠ وكانت الحياة الادبية آنذاك فيها خصب وثراء ، وكانت المدارس الادبية والشعرية والنقدية كثيرة ، والمعارك بينها محتدمة ، فبدأت الاتصال بهذه المدارس والكتابة في الصحف والمجلات كالاهرام والجهاد وكوكب الشرق: والوادي وابولو والرسالة ومجلة الازهر وسواها •

س ٢ : لمن قرأتم وبمن تأثرتم ؟

ج ٢ : قرأت لكل الادباء العرب القدامى والمحدثين والمعاصرين ، وقرأت كل الآثار الادبية الغربية المترجمة • والحقيقة انني لم أتأثر بفرد ، وانما تأثرت بالتراث عامة، وبالقديم والحديث والمعاصر منه بصفة خاصة •

س ٣ ـ هل لديكم محاولات في القصة والمسرحية ، وما هي الآثار التي نشرتموها ؟

ج ٣ ـ كتبت قصصا نثرية وشعرية كثيرة فمن القصص التاريخي الذي كتبته كتابي (مواكب الحرية في مصر الاسلامية) وكتابي (مواكب النبوة) ومن القصص العذرى قصتي (نشيد الصحراء) •

س ٤ ـ لقد برزت(رابطة الادب الحديث) منذ زمن طويل ، فهل لنا أن نعرف النشاط الذي قامت به خلال الفترة الاخيرة ؟

ج ٤ ـ ١ ـ قامت الرابطة خلفا لمدرسة ابولو التي أسسها أبو شادي ومدرسة رابطة الادباء التي أسسها ابراهيم ناجي .

٢ ـ قامت الرابطة بكثير من النشاط الادبي فهي تقيم منذ أمد طويل مواسم أدبية وشعرية متعددة كل عام. وهي تحتضن الادباء العرب في كل مكان وتعمل على تقوية الصلات الادبية والفكرية بينهم. وقد طبعت الكثير من الكتب للادباء المعاصرين ومن بين الكتب التي طبعتها مدرسة ابولو الشعرية ودراسات في النقد المعاصر وغير ذلك .

٣ ـ عملت على تكريم الادباء الكبار وتشجيع الادباء الناشئين منذ قيامها .

٤ ـ رصدت جوائز كثيرة للادب والشعر والقصة أعواما عديدة .

س ٥ : هل يمكن أن تحدثونا عن دور الاديب المصري في تنمية المجتمع ؟

ج ٥ ـ قام الاديب المصري بأعمال كثيرة :

١ ـ هو الذي غذى الحركات الوطنية في مصر والعالم العربي .

٢ ـ هو الذي دعا الى الحرية ودافع عنها .

٣ ـ هو الذي دافع عن حقوق الانسان في كل مكان.

٤ ـ هو الذي عمل على دعم الحركة الثقافية والادبية والفكرية في مصر والعالم العربي .

٥ ـ فضلا عن انه دعا الى خدمة المجتمع والنهوض به ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا والى اداء المجتمع لواجبه في سبيل رفاهية الفرد وسعادته . وعمل الاديب المصري في تنمية المجتمع باستمرار متواصل ودائم دون انقطاع .

س ٦ ـ هل ترفضون حركة الشعر الحديث وما هي سلبياته وايجابياته ؟

٦ ـ لا أعتبر الشعر الحر لاسباب كثيرة بسطتها في أحاديث ومقالات ودراسات طويلة . فهو لا يمثل المشاعر العربية ولا يمثل حركة الفكر والازدهار الفني في الشعر المعاصر . وليس فيه الموسيقى التي تهز القلوب وتثير العواطف . وليس له حظ من القافية التي تجعل الغناء به صالحا . ولا يرجع الى أصالة أو ابداع فني انما يرجع الى محاولة للافلات من قيود الشعر والشاعرية وهربا منها .

أما ايجابياته فلا أعد لايجابياته تتركز الا عند بعض الاصلاء من أمثال نزار قباني ونازك الملائكة وفدوى طوقان وبدر السياب .

وأما سلبياته فكثيرة جدا وأكثر الذين نظموا منه نظموا الشعر العمودي وكان شعرهم العمودي أكثر ايجابية وتأثيرا وروعة . وراجع هذه القصة في كتابي (الشعر العربي الحديث ومدارسه) الجزء الثاني من الطبعة الثانية.

س ٧ ـ هل تؤثر الادارة وسير التدريس في الجامعة على أعمالكم الادبية ؟ كيف توفقون بينهما ؟

ج ٧ ـ لا تأثير لعمل اداري عندي على أعمالي الادبية فلكل وقته ولكل مجال التفكير فيه . وان كان العمل الاداري يقلل بلا ريب من أوقات الفراغ للابداع الادبي .

س ٨ ـ صدرت لكم آثار جادة كثيرة من الفكر والادب . ما هي المشاريع التي تتولون اصدارها في المستقبل ؟

ج ٨ ـ أقوم بأعمال كثيرة من مثل :

١ ـ اصدار دائرة معارف عن اعلام الادباء المعاصرين .

٢ ـ اصدار دائرة معارف عن اعلام الصحابة .

٣ ـ اكمال تفسيري للقرآن الكريم الذي طبعت منه ١٣ جزءا وبقي منه ١٧ جزءا .

ـ اخراج كتب أدبية وفكرية مخطوطة كتبتها في فترات متعددة ولم أطعها حتى الآن وتبلغ نحو الـ ٢٠ كتابا .

٥ ـ طبع بعض كتبي المطبوعة طبعات جديدة مزيدة ومنقحة .

مع الآداب العالمية

علينا إعداد احتياطي يرث الثورة من بعدنا..

● باك يونغ سون ●

يعلق الرفيق (كيم ايل سونغ) ، الزعيم الذي يحترمه حزبنا وأربعون مليون كوري ، يعلق أهمية كبرى على أبناء شهدائنا الثوريين ممن ضحوا بحياتهم في معارك ضارية خاضوها في سبيل حرية شعبنا وتحريره . وقد أعد الزعيم مخططا بعيد المدى منذ أولى أيام الكفاح ضد اليابانيين ، وسار حزبنا على الدوام على السياسة الرامية الى تربية أبناء الابطال الثوريين ليجعل منهم ثوريين صالحين قادرين على أن يرثوا قضية الثورة من بعد أسلافهم اذا ما تركوها قبل استكمالها ، للابقاء عليها والحفاظ بها في تطور مستمر . وكان بالنتيجة ، أن أبناء هؤلاء الثوريين الذين ضحوا بأرواحهم وأولاد آخرون ينعمون الان بحياة لا ينقصهم فيها شيء ، وهم يعيشون في حرارة قلبي الحزب والزعيم ، يتعلمون حتى يرتووا ، ليصبحوا عندما يكبرون دعائم بلادنا ، مناضلين شيوعيين حقيقيين قادرين على حمل مستقبل وطننا .

وفي كل مرة أراهم ، فاني أتأثر تأثرا بالغا اذ أذكر المنهاج الذكي الفطن ، والفضائل العالية ، وأتذكر عناية الرفيق القائد (كيم ايل سونغ) ومحبته العميقة . لقد أنشأ احتياطيي الثورة الكورية وثقفهم في لهيب الثورة والكفاح المسلح ضد اليابانيين .

والحقيقة ، ان الرفيق (كيم ايل سونغ) قد كرس نفسه وروحه لبناء احتياطيي الثورة الكورية بناء صلبا منذ أولى أيام الثورة . وقد نظم هذا العمل تنظيما أكثر فعالية خاصة بعد تكوين قواعد الانصار بادارته في مناطق (مندشوريا) الشمالية الشرقية . وفي بداية الثلاثينات ، وصل الى شمال شرق (مند شوريا) عدد كبير من الاولاد ، أيتام ذبح آباءهم اللصوص الامبرياليون اليابانيون . وكذلك فقد قدم الى القواعد أولاد غيرهم من مختلف المقاطعات الاخرى .

وهكذا فقد كانت معرفة كيفية اعداد الايتام والاولاد الاخرين وتأهيلهم من أهم ما جابه ادارات القواعد من أعباء على كثرتها . وكان الرفيق القائد مدركا ظروف الحياة في القواعد ادراكا تاما ، أخذا بعين الاعتبار مدى أهمية اعداد الاحتياطيين ، فاتخذ منذ البداية جميع التدابير اللازمة لحماية جميع الاولاد وتكوينهم واعدادهم ، ومنحهم مرتبا خاصا مميزا . وقد بنيت في جميع قواعد الانصار مدارس لفرق الاولاد ، وافترض ان يكون فيها احتياطيو الثورة الكورية .

وقد استخدمت أكبر المباني في قواعد الانصار لصالح المدارس ، وأحيط كل شيء بعناية تامة سواء من حيث انتقاء الكتب واختيار المعلمين بين أكثر رفاق منظمات اتحاد الشبيبة الشيوعية خبرة ورفعة في مؤهلاتهم وتأهيلا . وعلى الرغم من كثرة انشغال الزعيم في قيادة الكفاح المسلح الضاري في سبيل دحر اللصوص الامبرياليين اليابانيين ، فقد أكثر من تردده الى مدارس فرق الاولاد ، ليعلم المسؤولين الرئيسيين فيها مدى أهمية تكوين الاحتياطيين الثوريين ومستوى رفعة شرف هذا الواجب . وقد زودهم بالتعليمات حول قواعد تربية الاولاد ممن يعدون لتحمل أعباء مستقبل البلاد ويتحولون ويتطورون مع مرور الايام وهم يكبرون ، فيصبحون مناضلين ثوريين مخلصين ، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف يجب أن ينموا ويثقفوا ويترعرعوا في أحضان الافكار الثورية منذ نعومة أظافرهم .

(... انكم براعم أزهار بلادنا . انكم دعائم مستقبلنا ، نسعد لسعادتكم ، ونسر لرؤيتكم وأنتم تنمون نموا صالحا .

(فاكبروا بسرعة وبعزم . ولتكن لكم بالنصر ثقة كاملة . ومهما تكن الشدائد والمصائب ، أتركوا خيبة الامل والتشاؤم جانبا لتصبحوا نخبة العاملين في وطننا وقدوتهم ...) .

لقد قال ذلك عندما زار مدرسة فرق الاولاد في قاعدة الانصار في (وانغ شين) والتهبت أقواله كالشعلة لتنير الطريق أمام أبناء العمال والفلاحين الفقراء ممن سلبت منهم الامبريالية اليابانية أوطانهم وأنوا تحت وطأة الاستغلال وطغيان الغاصبين وجور الظالمين وبغيهم ، وكان مبدأ رائدا للثورة ، وأصبح درسا وعبرة للشيوعيين الكوريين بضرورة تثقيف الاجيال المقبلة واعدادهم في جميع الظروف .

ولم يشق الطريق لتعليم الاولاد جميعا في القواعد وحسب ، وانما اعتنى شخصيا بحياة عناصر فرق الاولاد وبتدريبهم ، ناهيك عن الطعام والملبس والمأوى • وبينما كان نفسه يكافح وملابسه بلا بطائن طوال شدة برد الشتاء وقره ، فقد كان سهره على توفير الملابس السميكة المنجدة الملبدة لعناصرفرق الاولاد وأغطية ناعمة وقبعات صوفية ، لا تفتر قط ، بينما كان هو نفسه وعناصر القواعد يأكلون قشور الاشجار وجذور الحشائش • وحرص على أن يمكن الاولاد من قضاء أيام في بيوت كبيرة واسعة فسيحة ، وتوفير الغذاء الكافي لهم •

وكانت صعوبة ادارة مدرسة في ظروف تلك الفترة تفوق كل تصور ، فكثيرا ما خاض الانصار معارك دامية للحصول على دفتر أو على قلم • ولكن مهما تكن الظروف فلقد كان الزعيم الاب يولي الاولاد قبل كل شيء اهتماما بالغا ويزودهم بالنصائح الخاصة ، فيتكون جيل مكافح ثوري مصمم عنيد قادر على التغلب على الصعوبات جميعا بقدرة قتالية لا تقهر ، ملتهب بحقد شديد على الاعداء ويسير خلف الزعيم بقلب واحد وبروح واحدة •

وكلما تذكرت أحداث تلك الايام تعود بي الذاكرة الى الفترة التي تبنى فيها الرفيق القائد عناصر فرق الاولاد في جبل (ما آن شان) وأغدق عليهم من عطفه الحار •

لقد زار الرفيق (كيم ايل سونغ) (ما آن شان) في اذار ١٩٣٦ ، وكانت رحلته الى (ما آن شان) عبر (نان هو تو) و (مي هون شين) في أعقاب الحملة نحو (مند تشوريا) الشمالية الشرقية ، عندما تغلب على اضطرابات خطيرة أثارها النزاع بين اليساريين المتطرفين وال (مين سينغ دان) التي قادها القوميون المتعصبون والانقساميون، ودفع خلالها الثورة الكورية بعزم جديد ، اذ مرت الثورة بأزمة فأنقذها • ثم نشط تشكيل الاتحاد لاعادة بناء الوطن وأقام في الوقت ذاته قواعد الانصار في جبل (بيك دو) • كان دائم السهر يكاد لاينا م،وهو ينفذ تدريجيا مرحلة تلو المرحلة مخططا حذقا ذكيا لاشعال لهيب الثورة وتسعيرها ، حتى غدت تنشر الرعب والذعر في كل مكان من أقصى البلاد الى أقصاها •

وعلم في تلك الفترة بأن فرق الاولاد قد تجمعوا في (ما آن شان) ، فترك (مي هون شين) وتوجه الى ما آن شان ، على الرغم من كثرة مهامه • وغادرنا (مي هون شين لمرافقته •

في معسكر سري في غابات (ما آن شان) في قلب مقاطعة موسوتغ بضع عشرات من عناصر فرق الاولاد ، وكذلك رفاق من قسم الحركة والنقل يضم ورشة اصلاح الاسلحة ووحدة خياطة ومستشفى • وكان الاولاد من عناصر فرق الاولاد قد جاؤوا عبر جبل (ني تو شان) بعد حل قاعدة الانصار في شي تشانغ تسو ، وفرق الاولاد من مقاطعتي يين شي وهو لونغ ، وكانتا أكثر بعدا • وقد حضروا جميعا الى هنا متنقلين في الجبال مستترين عن أعين العدو وملاحقته وأبحاثه ، وبعد أن تم الاتصال فيما بينهم فقد بلغوا القاعدة بفضل مساعدة مراسلي الانصار ممن صادفوهم وهم يسيرون أرتالا بين الجبال •

ورغم كل مالاقوه من صعوبات ، فقد كان المتطرفون من القوميين لا يولونهم من العناية ما يستحقون ، ويهملونهم ويسيئون معاملتهم ويعتبرون أنهم عبء على نشاطات الانصار وأن في قربهم منهم مجازفة تعرضهم لكشف الاعداء معسكرهم السري ، فبنوا معسكرهم بأنفسهم في مكان آخر بأعماق الغابة ومنعوا عناصر فرق الاولاد من الاقتراب منه • وكان في هذا الحظر مقاطعة، فلا يزورونهم ولا يزودونهم بالغذاء ولا يؤمنون لهم بطبيعة الحال ملابس تستر أجسامهم حتى عندما كانوا يرتعشون من البرد القارص خلال ذلك الشتاء القاسي • والادهى أن ضيق التفكير قد بلغ بأولئك القوميين المتطرفين السخفاء حدا جعلهم يتهمون عناصر فرق الاولاد بالانتماء الى الـ (مين سينغ دان) ، وراحوا ، بهذه الحجة ، يسيئون معاملتهم ويشتمونهم ، ووصموا كل من يبدي عطفا نحوهم بأنه ينتمي الى الـ (مين سينغ دان) •

وقد أمر قائد السرية الذي جلب عناصر فرق الاولاد من (نيتو شان) الى (ما آن شان) بأن تصنع لهم ملابس جديدة ، اذ لم يطق تحمل مشاهدتهم وهم يرتدون ملابس مهترئة بالية ممزقة ، فنعته القوميون المتطرفون بأنه عضو في الـ (مين شينغ دان) وأعدموه رميا بالرصاص • وعلى ذلك ، فقد أصبح من الصعب أن تحسن معاملة عناصر فرق الاولاد والعناية بهم والاهتمام بشؤونهم على أي مستوى كان •

وبعد أن عانوا من المحن والبلايا ما عانوا ، وبعد أن وصموا بأنهم أعضاء في الـ (مين شينغ دان) فقد كان عناصر فرق الاولاد يتمنون من كل جوارحهم ، عودة الرفيق القائد بأقرب وقت ممكن ، وقد كان بعيدا في مند تشوريا الشمالية الشرقية •

ولحسن الحظ ، فقد جاء الرفيق (كيم ايل سونغ) الى (ما آن شان) بهذا الوقت بالذات ، عابرا الجبال والوديان في الثلوج العميقة • وما ان بلغ – ما آن شان – حتى ذهب الرفيق مباشرة الى معسكر فرق الاولاد السري • ولما انتشر خبر وصوله ، هب الجميع يتراكضون بأقصى سرعة ممكنة للقائه والترحيب به • الا أن صيحات أفراحهم ما لبثت أن سكتت فجأة ، وانكمشوا جميعا خجلا ، لا يريدون الاقتراب منه أكثر من ذلك • لقد كان معظمهم في الرابعة عشر من عمره ، ولم يكن بعضهم قد بلغ السادسة

أو السابعة من العمر • فتأثرنا لمشهدهم هذا • لقد كانت وجوههم متورمة من الجوع ، وملابسهم ممزقة محروقة مهترئة حتى السدى • كان عليهم لباس بشكل أو بآخر ، الا أنهم في الحقيقة كانوا يبدون شبه عراة ، يعجز عن وصفهم كل بيان •

ومع سذاجة صغرهم فقد خجلوا ، ولم يقتربوا من الرفيق القائد بملابسهم الممزقة رغم تعطشهم لرؤيته • وكان الرفيق القائد قد دنا منهم مفتوح الذراعين ، الا أنه وقف جامدا دون أن ينطق بكلمة واحدة عندما توقف الاولاد • فهو الذي يعتني بسعادة الاولاد عناية عميقة ويهتم بمستقبلهم اهتماما بالغا ، يأتي اليوم فيفاجأ اذ يجد براعم الثورة مظلومين مضطهدين مقهورين على هذا الشكل، بينما كان يتوقع أن يجدها متفتحة تفتحا كاملا • كم أدمى هذا المشهد قلبه بمرارة •

فصاح بهم : (اقتربوا ، تعالوا بسرعة ••) واقترب هو ليقبل أصغرهم سنا ، وكان يقف في الصف الاول • (يا لهول ما عانيتم منه من المحن ••! وجوهكم متشققة جدا ••) وأخذ يستعرض بنظره وجوه الاولاد وهو يغطي بمعطفه ركبتي الولد ، وكانتا معرضتين للريح ، وتبسم وجهه • وبينما الاولاد من حوله ينظرون اليه ، كانوا لا يستطيعون رفع رؤوسهم ، فراح يلاطف الاولاد ويمسح بيده على رؤوسهم الواحد بعد الآخر ، بينما بقي ممسكا بالولد الصغير بين ذراعيه •

لقد كانت محبة الرفيق القائد العميقة ومشاعره وهو يلاطفهم بيده محبة أب يعانق ابنه ويقبله بعد فراق طويل ••

(••• أيها الاولاد ، انهضوا رؤوسكم وارفعوها ، فاذا كنتم الان بلباس رث ، فليس ذلك بخطئكم ••) فأثارت هذه الكلمات اجهاشا في البكاء هنا وهناك بين الاولاد وتزايد انهمار دموعهم • كم كانوا بشوق الى هذه العناية الابوية الحارة ••• لقد كانوا بعمر يحق لهم فيه أن يناموا في حرارة أحضان أمهاتهم ، بينما هم الان ها هنا في أعماق الجبال ، وقد شتموا واهينوا وعذبوا على يد القوميين المتطرفين ، بينما كانوا يأملون أن يجدوا بقربهم ملجأ بعد أن لاقوا من البؤس والمحن مالاقوه ••• على كل ، فانهم قد تحملوا المحن جميعا بصبر ، ولم يزرفوا دمعا ، لا شوقا لبلادهم ولا ألما من حياتهم القاسية المريرة • أما الان ، فلا يسعهم الا زرف الدموع ، وكانت تنهمر أمام عمق تأثرهم بهذه اللحظة ، كما لو كانوا قد ضموا الى قلوب آبائهم هم أنفسهم •••

(فلننتقل الى الداخل ، أيها الرفاق ، فالاولاد يبردون) • وهكذا فقد مشينا حتى المعسكر ونحن نضع معاطفنا فوق الاولاد ، ونمسك بهم ونشدهم الى قلوبنا • واكتشفنا أن بعض أفراد فرق الاولاد لم يتمكنوا النهوض، وقد ألزمهم المرض فراشهم ، فدهشوا اذ التقوا بالزعيم الاب ولم يعرفوا ماذا يفعلون • وعندما حاولوا النهوض بأنفسهم أو الجلوس أو الوقوف ، أخذهم بين ذراعيه ثم عاد فوضعهم فوق أسرتهم ،جاعلا يده على جبينهم وهو ينظر الى ألوانهم ويستوضح عن تفاصيل ظروف اصابتهم ومعالجتهم ولم يعلمه أحد من الانصار العاملين في المعسكر السري عن تلك الظروف • لم يكن التزام الاولاد فراشهم ناجما عن المرض ، وانما كان ناجما عن اهمال القوميين المتطرفين لهم ••

وملأ المكان سكوت ثقيل مزعج • وتأمل الرفيق القائد وجوه الاولاد ووجوه الانصار العاملين في القاعدة ، وأمسك بهدوء وسكون (هارمونيكا) قديمة كانت بالقرب من رأس أحد الاولاد • لقد كان قديما جدا ، لا يسمع صوت الموسيقى أو يكاد • وقال أحد الانصار : (ان الاولاد شغفون به كثيرا ، وهم جميعا يحبون العزف به) • فقال وكأنه يخاطب نفسه : انهم يحبون العزف بالارمونيكا ••) ووقف ، وبقي واقفا سابحا في أفكاره ، وجال بنظره في أرجاء الغرفة من جديد • صحيح انهم كانوا ضمن غرفة ، الا أن تلك الغرفة كانت هزيلة بائسة لا ترد برد الجو الخارجي ، وهنا في هذه الغرفة الباردة أولاد مرضى في أسرتهم دون غطاء يغطيهم • وبعد أن طاف بنظره في الغرفة استدعى أحد الانصار ممن قدموا معه من ـ مي هون شين ـ ، وطلب منه أن يحضر اليه غطاءه •

وسرعان ما عاد ومعه غطاء ملفوف باتقان ، وكان الغطاء الذي يستعمله الرفيق القائد نفسه وقدرنا ما كان يريد أن يفعله ، فجلبنا أغطيتنا ، فقال وهو يدفع بأغطيتنا برفق : (ان هؤلاء الاولاد مرضى ويرتعشون من شدة البرد ، لذلك فاني ان غطيت نفسي بمئة غطاء ، لن أتمكن من تدفئة قلبي) •

وفرد غطاءه ومده فوق واحد من الاولاد المرضى وغطاه به ، وكفكفه من أطرافه ليمنع البرد من التسرب اليه • وغصت حناجر الحاضرين • وسأل كلا من عناصر فرق الاولاد عن سبب حضوره الى ـ ما آن شان ـ ، وكانوا جميعا أيتاما قتل الامبرياليون اليابانيون آباءهم ، وقد قاسوا في طريقهم الى هذا المكان بعد اغلاق قواعد الانصار من عدد كبير من المحن الاليمة ، وعانوا مما لو كان الانصار أنفسهم في محلهم لوجدوا صعوبة كبيرة في تحمله والتغلب عليه •

ورب قصة لا تزال ماثلة في ضميري، انها قصة واحد من عناصر فرق الاولاد ، حضر من ـ شي شانغ تسو ـ مع

سبعة آخرين ، وبعد أن غادروا – شي شانغ تسو – مع بعض من عناصر الانصار ، تعرضوا لهجوم مباغت شنه الاعداء قبيل بلوغهم – ني تو شان – مباشرة ، فقضوا عليه وأبادوا الاعداء ، وكان من نتائج ذلك أن اضطروا للانفصال عن الانصار ، وتركوا وحيدين في الجبال ، في أعنف فترة من عاصفة ثلجية هوجاء • وكان بينهم أولاد لم يبلغوا العاشرة من أعمارهم ، ولم يكن أكبرهم سنا قد بلغ الرابعة عشر من العمر أو الخامسة عشرة • ولم يكن لديهم طعام ولا غطاء ليحموا أنفسهم من البرد • وتصعيدا لخطورة الموقف ، فانهم لم يحددوا مع الانصار أي موعد •

وتهب في قلب الجبال الصخرية والوديان السحيقة عواصف ثلجية هوجاء مرعبة مخيفة ، وارتفاع الثلج يفوق أربعة أقدام ، كانوا يحفرون في الثلج نهارا ليلتقطوا الثمار الساقطة من الاشجار ، ويلتصقوا ببعضهم ويشد واحدهم نفسه الى الاخر ليلا تحت شجرة يابسة ليناموا • وعندما بلغوا منزلا منعزلا وحصلوا على بعض من قطع فطير الذرة ، أبا كبارهم أن يأكلوا وأعطوها الى الصغار فيهم • ولكي يناموا ، كانوا يجعلون أصغرهم سنا في الوسط ، ولا يغمضون عيونهم خشية الحيوانات المفترسة ، ويسهرون من نومهم مشدودين الى بعضهم • وبالرغم مما يعانون من تعب وارهاق أنهك قواهم بعد سير طويل على الطرق الجبلية ومن جوع ومن برد ، فانهم لم يهبطوا الى الطريق العام قط ، ولم يقتربوا من البيوت ، وانما بقوا دوما في قلب الادغال • اذ أدركوا بنتيجة تجاربهم في القاعدة وتدريبهم في مدرسة الاولاد اذا ما ذهبوا الى الجبال فمن المحتمل أن يصادفوا الانصار ويلتقوا بهم ، وأيقنوا أنهم لن يستطيعوا الانتقام لآبائهم من العدو الا بانضمامهم الى الانصار • لذلك فعندما يقال للاصغر سنا ، الذين كان لا بد من حملهم فوق ظهور الاكبر مرات عديدة كل يوم ، ونومهم بين أحضانهم ، ان بامكانهم الهبوط نحو القرية ، فقد كانوا يرفضون ذلك • فيستبعد الكبار كل فكرة من هذا القبيل •

وعثر أحد الانصار على هؤلاء الاولاد يوما تائهين في الغابات الكثيفة وجلبهم الى هنا وروى بصوت حزين ما حدث عندما وصلوا الى جبل – ني تو سان – • لقد أخرج الناس في – ني توسان – أرزهم العزيز وأعدوا لهم طعاما • وعندما شاهدوا كوب الارز المغلي ، وكانوا لم يروه منذ زمن طويل ، فقد وضعوا ملاعقهم بهدوء وخرجوا ليزرفوا بعض الدموع ، وقد تأثروا لذكرى آبائهم وأخوتهم واخواتهم وأصدقائهم الذين ماتوا جوعا نتيجة حملات تأديبية شنها الامبرياليون اليابانيون •

(أيا الرفاق ••• انظروا اليهم ، من هم هؤلاء الاولاد الموجودون بيننا هاهنا ؟ انهم براعم الثورة ، وانهم يعتمدون علينا اعتمادا كليا وينتظرون يوم انتصار الثورة على أحر من الجمر •

ولهذه الاسباب فانهم لم يهلكوا في اللهب كما انهم لم يضعفوا في مواجهة العواصف الثلجية • ان بذور الثورة مغروسة في نفوسهم ، وهي تنمو بقوة وبعزم لتصبح أشجارا سوف تكون دعائم النظام الجديد •

وأما أولئك الذين أغرقوا الاولاد في مثل هذا العذاب بينما هم يفاخرون قولا بأنهم ثوريون ، كيف يمكن أن يقال عنهم بأنهم شيوعيون ••••؟)

وكان صوت الرفيق القائد يرتعش ازدراء • وبينما كان يلاطف رؤوسهم بيده وكأنه يسعى لتهدئة مشاعره ، سأل بهدوء عن أحوالهم منذ أن وصلوا الى جبل – ما آن شان – • الا أن أحدا من الاولاد لم يشك من البرد أو الجوع • حتى أصغرهم سنا ، فقد كانوا يكتفون بهز رؤوسهم عندما يسألهم عما اذا كانوا يشعرون بالبرد أو الجوع دون ان ينطقوا بكلمة واحدة • ونظرنا اليهم ورحنا نتأملهم ، والسخط واضح في وجوهنا وقلوبنا تقطر دما ، يفترض أن يكون هؤلاء الاولاد يلعبون ويلهون بلعب الاولاد لو أنهم كانوا يعيشون في كنف آبائهم ، وأدركنا مدى ما يمكن الاعتماد على هؤلاء الاولاد بعد الان •

(•• ما هذا ••؟ انظروا ••• يقول هؤلاء الاولاد انهم لا يشعرون بالبرد رغم أن ملابسهم مهترئة ، ويقولون انهم ليسوا جياعا رغم أن الجوع قد أنهك قواهم وكيانهم •

(•• وأكثر من ذلك ، نرى انه يصعب عليهم أن يسببوا لنا ألما •••) ، وقتم وجهه واكفهر من جديد وهو يلقي نظرة حوله • وأجرى الرفيق القائد بنفس ذلك اليوم بالذات تحقيقا دقيقا حول الظروف المعاشية التي يعيش فيها عناصر فرق الاولاد ، والتقى بالانصار جميعا حتى أولئك الذين يعيشون في جبل – ما آن شان – للوقوف على السبب في كونهم غير مبالين بسعادة الاولاد وهنائهم •

(يقال ان هؤلاء الاولاد قد انضموا الى الـ – مين سينغ دان – ، ولكن هل لكم أن تشرحوا لي ما الذي يجعلهم ينتمون الى – مين سينغ دان – ، من فضلكم ؟ وماذا يمكنهم عمله في مجال الـ – مين سينغ دان ؟ • كان صوته منخفضا الا أنه كان يبدو صارما رخيما جدا • ومن الحاضرين من يتأثرون بالقوميين المتطرفين ويتعاطفون معهم ، ولم يتمكن واحد منهم من ايجاد أي عذر يقدمه الى الرفيق القائد وهو الذي يعرف كيف يميز بين الابيض والاسود بوضوح تام وبصفاء كنور الشمس •

(••• فكروا بذلك مليا ، ما هو واقع هؤلاء الاولاد؟ ان أهلهم جميعا قد ضحوا بأرواحهم في الكفاح ضد الامبرياليين اليابانيين • وهم أنفسهم ، على صغر سنهم ،

يجب علينا اعداد احتياط يرثون الثورة من بعدنا

انه ليستحيل عليهم الذهاب الى مكان يسيطر فيه العدو مهما كان • واذا كنا نراهم وقد جاؤوا الى هنا لاحقين بالانصار فلأن قاعدة الانصار قد أغلقت ، وهم يبحثون عن وسيلة ينتقمون بها لموت آبائهم بطريقة أو بأخرى ، وللالتحاق بالثورة •

(ما أسخف أن يوصموا بأنهم قد انخرطوا في الـ ـ مين سينغ دان ـ ••• يا له من اجرام ما بعده اجرام • ليس هنالك أي سبب لهذا • وحتى فيما لو أحيطوا بعناية •• لهذا فان خطأكم ليس فقط في أنكم لم تعتنوا كما يجب ببعض عناصر فرق الاولاد ، وانما أيضا لاننا بصفتنا شيوعيون فاننا نولي الاولاد اعتبارا كبيرا لان مكانتهم كبيرة ، ونحن نحبهم ليس من الوجهة الانسانية فقط وليس لما في الاولاد من لطف ومن طيب ، وانما لان هدف نضالنا نفسه هو اتاحة الفرصة لهم وتمكينهم من التمتع بالعيش في مجتمع سعيد متحرر من الاستغلال والاضطهاد ، ان مستقبلهم في الثورة الكورية لامع ، ونحن نحبهم لهذا السبب •

ان ثورتنا نضال طويل صعب عسير ، وعلى هؤلاء الاولاد أن يواصلوا الثورة من بعدنا ، عندما نتركها قبل أن تكتمل ، وعندما لا يستطيعون السير بها في حياتهم حتى النهاية ، يتولاها الجيل التالي ويواصل الكفاح حتى يبلغ بالثورة حد النهاية ، ويحقق أهدافها كاملة أيا كان الثمن جيلا بعد جيل • فلهذا السبب ولكي نكون مخلصين للثورة الكورية حتى النهاية يتحتم علينا تشكيل الاحتياط ليرثوا الثورة من بعدنا ، ولن نستطيع القول بأننا قد قمنا بواجبنا كثوريين وانجزناه الا عندما نكون ، ونحن نتابع النضال في سبيل الثورة بكامل الجرأة والشجاعة ، قد أعددنا هؤلاء الاولاد ، ما دام المستقبل يعتمد عليهم •

(••• وأكثر من ذلك ، ان هؤلاء الاولاد وهم سادة ثورتنا في المستقبل ، هم أولاد رفاقنا الثوريين ممن وهبوا حياتهم ، وأيديهم في أيدينا على طريق الهدف الواحد • فليس اهتمامنا بهم من قبيل قيامنا بما يحتمه علينا الواجب كثوريين وحسب ، وانما العناية بهم بحرارة واجب علينا مقدس • وعندما لا نكون قادرين على مثل ذلك ، لا يجوز لنا الادعاء بأننا قد حافظنا على اخلاصنا الثوري كشيوعيين •••) •

وأصر الرفيق القائد على وجوب صنع ملابس جديدة لعناصر فرق الاولاد بأقرب وقت ممكن • ولم تكن لدينا بذلك الوقت أي وسيلة لشراء النسيج • ومدركا بأنه لم يكن هنالك لا نسيج ولا مال في تلك الغابات الكثيفة ، فقد بقي جالسا يفكر لبعض الوقت •

كان مستحيلا علينا أن نجلب اليه نسيجا ليراه فورا • وكنا حزينين جدا لذلك ، لا نطيق الصبر ولا ندري ماذا نفعل • حتى ونحن نتعذب نفسيا ، كنا لا نجد أي فكرة عما يمكن عمله للحصول فورا على النسيج لنصنع لبضع عشرة من الاولاد ملابس جديدة •

وجلس الرفيق القائد يفكر بسكوت ، ثم وضع يده في جيبه بهدوء ، واخرج منه شيئا متقن التغليف • وتوجهت عيوننا جميعا نحو ذلك الشيء ، ولما وجدنا أنه كان مغلفا بهذا القدر من العناية ، فقد كان واضحا أنه يحتفظ به منذ زمن طويل كمادة عزيزة ثمينة •

(••• ليس لدى أي شيء ، لا شيء سوى هذه النقود ، وما هو الا مبلغ زهيد جدا ، ولكن علينا أن نشتري أي قدر ممكن من القماش لاكساء الاولاد • ان الاولاد يرتدون ملابس مهترئة ، ولهم الافضلية الاولى ••) •

[illegible] الرفيق القائد بالنقود الى الرفيق ـ سان هو ـ المفوض السياسي في السرية ، وأرسله الى ـ فوسونغ ـ ليشتري قماشا •

وعلمنا فيما بعد ، أن المبلغ كان عشرين ـ وون ـ ، الـ (وون : يساوي ليرة سورية تقريبا) •

وكانت لهذا المبلغ قصة طويلة • انه مبلغ أعطته أمه (كانغ بان سوك) الى الرفيق القائد عندما غادر المنزل لتنظيم القطعات المسلحة ، وهو شاب • ورغم ان الام ـ كانغ بان سوك ـ كانت مريضة ، فقد كانت تعتني برفاق ابنها في السلاح ممن كانوا يناضلون في سبيل الوطن واعتنت باناس اخرين كما لو أنهم كانوا أبناءها هي نفسها • وكانت تسعد دوما بان تقدم شيئا لرفاقه في السلاح عندما يمرون بها ، حتى عندما تكون هي نفسها جائعة • ولقد جمعت القروش قرشا قرشا بقيامها بأشغال الابرة وبغسيل الملابس تحرم نفسها من الاكل ، وأعطت النقود لولدها • وعندما كان يتأهب للرحيل ، أخذته من يده وقالت : يجب أن تكون في جيب الرجل نقود للضرورة عند الحاجة •

وقاد الرفيق القائد المناضلين خلال الاعوام التالية الى ـ ليانغ شيانغ كو ـ وسلسلة ـ لا وييه لينغ ـ مجتازا عددا لا ينتهي من المحن والصعوبات ، وخلال عاصفة المعارك كلها وما فيها من ضغوط وخلال المعارك العنيفة التي شنت بضراوة حول قواعد الانصار وما فيها من عواصف وضغوط ، وخلال حملتين قاسيتين الى ـ مانشوريا ـ الشمالية فقد كان يحتفظ بتلك النقود دائما مكنوزة فوق صدره ، اذ كانت تمثل الحب الحار وذكرى عميقة لوالدته • حب لا يمكن أن توازيه أي كمية من الذهب • وقد عاش طوال وقته بتعاليم أمه وارشاداتها واستمد قوة ودعم تصميمه على النضال بفضل ذكرى حبها الحار •

لم تكن سوى عشرين ـ وون ـ ، الا أنها كانت تحمل ذكرى خالدة لا تنسى لام كرست حياتها كلها لاعادة بناء

الوطن ، وقد ماتت على هذه الارض الغريبة محرومة من مشاهدة تحرير وطنها . لم تكن نقودا كثيرة . ولا يمكن ان يكسى جميع الاولاد بهذه النقود . على أننا باستقراء عواطف الرفيق القائد ومشاعره عندما أعطى تلك النقود بما تحمله من المعاني المفعمة بحب أمه الحار . لتوفير الهناء لعناصر فرق الاولاد ، براعم الثورة ، فقد تاثرنا تاثرا عميقا .

ان أولئك الذين سيرتدون الملابس الجديدة التي تم شراؤها بهذه النقود تحمل حب الام ـ كانغ بان سوك ـ سوف يكونون في الحقيقة محاطين بحبها الحار ، وسوف ينعمون بالفرحة وبالسعادة بين ذراعيها المحبتين.. ليت أن الام ـ كانغ بان سوك ـ ، وهي التي كانت تشفق دوما على الفقراء والمساكين ممن يرتدون الملابس الرثة ، تواقة لان تقدم لهم مزيدا من المساعدة ، ليتها تستطيع أن ترى الان هذا ، كم كانت تسعد بذلك .. لا شك في آنه لن ينقضي زمن طويل حتى يكون ، ليس فقط أولاد جبل ـ ما آن شان ـ وانما جميع من يرتدون الملابس الرثة من الكوريين قادرين على التنعم بمثل حب الام ـ كانغ بان سوك ـ .

وذهب الرفيق ـ سان هو ـ الى مدينة فوسونغ كما أمر ، واشترى قماشا وعاد به . ولا شك في أن بضع عشرة الاولاد هؤلاء لن يتمكنوا من الاكتساء بهذا النسيج وحده ، لذلك فقد أعطى الرفيق القائد الى الرفيق سان هو مهمة الاتصال في مدينة فرسونغ برفيق ثوري من أولئك الذين كانت لهم معه فيما مضى نشاطات ثورية . وهكذا فقد اصطحب معه الى ـ فوسونغ ـ بعض الانصار لمقابلة ذلك الرفيق الثوري من جديد. واستطاع بمساعدته أن يحل مشكلة ملابس الاولاد جميعا .

... كانت وجوه الاولاد بملابسهم الجديدة تعبر عن سعادتهم ، وأصبحت حياتهم مشرقة فرحة . كان لديهم شعور أن بامكانهم أن يطيروا ، وكادوا أن يطيروا من شدة الفرح ، وأخيرا تبددت الغيوم عن وجه الرفيق القائد عندما شاهد فرحة هؤلاء الاولاد .

كان حب الرفيق القائد الابوي يحيط بعناصر فرق الاولاد وقد كانوا مسيبين مهملين مشردين ، واتخذ قبل أن يغادر جبل ـ ما آن شان ـ جميع الترتيبات اللازمةلضمان حمايتهم وتأهيلهم، وعهد بأمر تعليمهم الىعضو بارز وأبقى مجموعة لتأمين تموينهم واتخذ الاجراءات اللازمة لنقل المعسكر الى مكان أكثر أمانا، يستطيعون فيهممارسة الاعمال الزراعية . وقبل أن يغادر ، أمر الانصار بأن يحتفظوا في جعبهم بكمية من الارز تكفي لوجبة واحدة أو اثنتين فقط وأعطى كل ما تبقى الى الاولاد .

وجاء عناصر فرق الاولاد مع الانصار بينما كانوا يفرغون من جعبهم وهم يستعدون للرحيل . وكان ذلك وفقا لتعليمات الرفيق القائد بوجوب تزويد الاولاد بأكبر كمية من الارز حتى عندما يتاهب الانصار لمسير صعب شاق في الجبال . وبينما كانوا يغادرون ، اقترب الاولاد من الرفيق القائد وهم يلهثون ، وأمسكوا بذراعه بلهفة وبمعطفه وهم يرجونه بحرارة : (نرجوك ، خذنا معك ، نريد أن نكون معك دوما . لانستطيعالعيش يوما واحدا بعيدا عن الجينيرال ، خذونا معكم نتوسل اليكم) . فنظر الى عناصر فرق الاولاد وهم جميعا يطالبون بذلك بحماس بالغ وقال بصوت رقيقوكأنه يريد اقناعهم : (وهل تعلمون الى آين نحن ذاهبون ؟) . فاجاب الاولاد جميعا بصوت واحد : (نعم ، اننا نعلم ، انكم ذاهبون لقهر اليابانيين الاشقياء) . (هذا صحيح ، اننا ذاهبون لقهر اليابانيين الاشقياء الذين ذبحوا آباءكموأمهاتكم ، ولكنالطريق صعب شاق . فنضطر أحيانا لان نقطع مئة ـ ري ـ مشيا على الاقدام في يوم واحد (الري : وحدة قياسية كورية تساوي ٣٩٢٧ ميترا في النظام الميتري) . ونضطر أحيانا لان نحارب العدو ونحن على الطوى لعدة أيام . وذلك أكثر مشقة عليكم وصعوبة من الدراسة والتدريب في المعسكر السري . فهل ترغبون في الذهاب معي رغم ذلك كله ؟) . ونظر الى عيون الاولاد واحدا واحدا ليسبر مافي نفوسهم ، وقد ارتسمت بسمة عريضة على وجهه .

فقال الكبار منهم : (نعم ، نريد الذهاب ، فخير لنا أن نكون مع سيدي الجينيرال) ، وأمسك أصغرهم سنا بتلابيبه وهو يدبك بقدمه على الارض ببراءة وقال له بأنه يريد الذهاب معه . وحتى نحن الانصار فقد كنا نشعر بشوق عميق للرفيق القائد عندما نرسل بمهمة الى وحدات أخرى بين الفينة والفينة . وهكذا فقد كان كدر هؤلاء الاولاد كبيرا ساعة الفراق وقد استبشروا بمستقبل مشرق باهر ووجدوا حبا أبويا خلال تلك الايام بقربه ، بعد أن تاهوا في العواصف الثلجية الهوجاء وفي الظلمات الداكنة. لقد كان حرصهم على ألا يبتعدوا عن عنايته الابوية الحارة كحرارة الشمس . لقد كانت تلك ، بالواقع ، رغبة أولئك الذين ينتظرون علىأحر من الجمر أن يتبناهمالزعيم العظيم وهم يكنون له احتراما لا حد له .

ونظر الرفيق القائد الى عناصر فرق الاولاد وهم يصرون على الذهاب معه ويلحون عليه بشدة ليوافق . الاعداء ؟) .

(نعم نحن قادرون) .

(انكم لا تسطيعون استعمال البارودة ، فكيف اذن تكونون قادرين على ضرب العدو ؟) .

(اذا كنا غير قادرين على اطلاق النار على العدو من البارودة ، فلا بد لنا من الثأر لآبائنا وأمهاتنا بأي وسيلة حتى ولو اضطررنا لان نعض الاعداء بأسناننا) .

وكانت عيونهم تلمع كالنجوم وأصوتهم ترن بتصميم واضح صاف صفاء الكريستال ٠

(هذا صحيح ٠٠٠ لا بد لكم من أن تنتقموا لآبائكم)

وبقي سابحا في تفكيره لبعض الوقت ، ثم قال للانصار : (فلنأخذ هؤلاء الاولاد معنا ٠٠ لا شك في أن اصطحابهم معنا قد يكون صعبا في ظروف قتالنا ، لعدد من الاعتبارات ٠٠٠ بينما يمكن أن يتم تأهيل هؤلاء الاولاد في المؤخرة بطريقة ميسورة نسبيا) ٠

(اذن فما السبب في أن نسلك طريقا أصعب ؟ ليس فقط أننا أكثر قدرة على العناية بهؤلاء الاولاد عندما نصطحبهم معنا ، ان قدر هؤلاء الاولاد على خوض عواصف الثورة ، انهم شيوعيو مستقبل كوريا ، وقدرهم عبور اللهب والحمم دون أن يتوفر لهم من الوقت ما يمكنهم من خلع أحذيتهم حتى يحين يوم يتحقق فيه النصر ٠ فلنعدهم في خضم الكفاح الثوري ، لنجعل منهم ثوريين عنيدين لا يقهرون ، وشيوعيين مصممين اولي جرأة وبأس وحزم واقدام ، وقحين سفهاء ٠ فجو النضال خير مدرسة لاعداد الثوريين جميعا ٠

وأثر تصريحه في قلوبنا ، وراح عناصر فرق الاولاد يقفزون فرحا وهم يستعدون للرحيل ٠ وفي لحظة الذهاب انتحى بي الرفيق القائد جانبا ٠٠ كان علي أن أبقى هنا ٠٠٠ وكرر بالحاح واصرار أن علي أن أعتني جيدا بالاولاد الذين لا تسمح لهم قوتهم بالرحيل وهم مجبرون على البقاء وبعد أن أعد كل شيء ، أعطى الامر بالمسير ٠

ووقفنا نتابعه بعيوننا وقلوبنا مثقلة اذ كنا ننظر اليه وهو يبتعد على رأس الركب ممسكا بيد الاولاد بنفسه أي حب أبوي هذا الذي يتجلى في تصرفات الرفيق القائد ٠ فمصير الثورة الكورية برمتها مرتكز على كتفيه انه يشق بنفسه الطريق على دروب الثورة الكورية الوعرة المتعرجة بكل ما فيها من عراقيل عاليها سافلها ورغم ذلك كله فانه لا ينام وهو يتلظى ألما لعدم توفر الملابس الملائمة لهؤلاء الاولاد ، فيجد العزاء في أن يحرم نفسه من غطائه ليغطي به المرضى ٠٠٠ يا له من حب حار ٠٠٠ والان وبينما هو يشق بنفسه طريقا في خضم عواصف النضال المسلح ضد اليابانيين - وكان بذلك الوقت أعنف منه في أي وقت مضى - نراه يحتضن عناصر فرق الاولاد ممسكا بأيديهم لينير لهم الطريق ويجعل منهم ثوريين عنيدين باصرار وتصميم يشاركونه نظرته لمستقبل الثورة الكورية ٠

لقد قدم العالم أمثلة عديدة للكفاح المسلح ضد أعداء الشعب ، وشهد التاريخ العديد من الاشياء النبيلة في الكفاح المسلح ، ولكن أنى لنا أن نعثر ، في التاريخ كله ، على نضال يشبه هذا النضال ، يخوضه وسط الصعاب مما لم يسبق له مثيل أبدا ، وهو يقود فرق الاولاد بينما هم لا يزالون صغارا غير قادرين على حمل السلاح ٠ ويخرق حصارا يقيمه العدو تلو الحصار ، ويخرق خطوط الموت مرات ومرات في كل يوم ٠٠؟ وانى لنا أن نعثر في التاريخ كله على صيغة نص تشبه ذلك الذي خطه بيديه وهو يغرس بذور الثورة في هؤلاء الاولاد ، ويعدهم ، وهو ينشئهم وسط لهيب الكفاح المسلح المتاجج ضد اليابانيين ٠٠؟ وامتلات قلوبنا بفخار كبير وبشرف أن يكون هذا الرجل العظيم زعيما لثورتنا ٠

كنا نرى آثار التعب وهي تختفي تدريجيا عن وجوه هؤلاء الاولاد وهم يسيرون بعزم وقد ارتدوا ملابسهم الجديدة تلك التي كان كل خيط فيها يحمل حب الرفيق القائد بكل ما فيه من عمق ٠ وقلنا في أنفسنا : مثلما وجد هؤلاء الاولاد الضعفاء بعد بؤسهم فرحا وسعادة بفضل عناية الرفيق القائد ، فلا بد أن يبزغ فجر يوم تكون فيه كوريا برمتها ممتلئة بنفس السعادة والامل ، وهي مشدودة الى قلبه ٠

وبعد أيام من مغادرتهم ، هجرنا المعسكر الى منطقة أكثر أمانا ٠ وكنا قد انتهينا تقريبا من اقامة عدد من الاكواخ فيها بنيناها من أقراص قطعناها من جذوع الشجر ٠ فكان معسكرا سريا جديدا في - تاو شين شانغ - عندما جاءنا من المقر العام مراسل ، وأبلغنا بأن الرفيق القائد لا يزال قلقا جدا على بقية عناصر فرق الاولاد ممن تخلفوا في جبل - ما آن شان - ، وأنه يريد الاطمئنان على أحوالهم ٠ وحدثنا بأن الرفيق القائد قد أمسك بالاولاد من أيديهم خلال تلك المسيرة الصعبة ، وأنه قد حملهم أحيانا على ظهره ٠ ومهما تكن مشاغله ، فقد وجد في كل يوم وقتا مناسبا للعناية بكل منهم والاهتمام بتاهيلهم فكريا وعقائديا وسياسيا ، وبتدريبهم المسكري وبتدريسهم ٠ حتى انه عندما يتحدث الى عناصر فرق الاولاد في لقاءات السمر فانه يبدي قلقه على العناصر الذين لا يزالون في - ما آن شان - ويقول ، (اني أسائل نفسي ، كيف تجري أمورهم ؟ أخشى أن تتفاقم أمراضهم ٠٠٠) ٠ ثم سلمني المراسل مجموعة من الهدايا حملها من الرفيق القائد الى عناصر فرق الاولاد الذين كانوا لا يزالون مرضى ٠

وتوجهت بعد قليل الى جبل - ما آن شان - ، ولما كنت أدرك مدى عمق عطف الرفيق القائد وهو غير قادر على النوم ليلا اذ يفكر بالاولاد المرضى ، وعندما تخيلت الاولاد وهم يرقصون فرحا أمام الهدايا المرسلة اليهم مع محبته العارمة ، أسفت لانني كنت غير قادر على المسير نحوهم بأسرع مما أنا فاعل ٠ وما ان بلغت جبل - ما آن شان - حتى أبلغت عناصر فرق الاولاد بأن الرفيق القائد قد أرسل اليهم الهدايا ٠٠ وفتحنا الرزم ٠

لقد كانت فيها دفاتر صغيرة وأقلام وأحذية وجوارب وأنواع شتى من الادوية والعقاقير ، ووجدنا - هارمونيكا - جديدة لماعة متألقة ٠ وعادت بي الذاكرة الى تأملات الرفيق

القائد وهو ينظر الى الهارمونيكا القديمة تلك التي كان من العسير العزف بها كما يجب • لقد كانت سعادة الاولاد عظيمة عندما احتذوا أحذية لاول مرة في حياتهم ، وكتبوا أسماءهم على الدفاتر الجديدة الا أنهم عندما رأوا الهارمونيكا راحوا يبكون من شدة الفرح وأخذوا يعزفون نشيدا ثوريا وينشدون ، وعزفوا جميعا ، كل بدوره •

تلك كانت طبيعة حب الرفيق القائد الابوي ، حتى عندما يقاتل ضد زمر العدو ، فانه لم ينس قط شغف الاولاد بالارمونيكا • وحتى عند مرضهم ، كان يحقق لهم رغباتهم بطريقة أو بأخرى • فما السبب في أن حبه كان مركزا على المرضى من الاولاد ؟ وكيف يحق لنا أن نحصر هذه الفضائل جميعا بكلمة (حب) ؟ وأقسمت في نفسي من جديد وأنا أنظر الى الاولاد وهم يرقصون فرحا ، بأن أكون جنديا مخلصا له اخلاصا تاما محترما لتعاليمه متمشيا بموجبها ، وقد كرس نفسه بكليته الى الثورة الكورية والى الشعب الكوري •

ولم أتمكن بعد ذلك من الالتقاء بعناصر فرق الاولاد لبعض الوقت اذ كنت مشغولا بأعباء أخرى ولم أرهم قبل اقامة قاعدة المقر العام للانصار في جبل ـ بايك دو ـ • وكانوا وقتئذ قد اعتادوا حياة القطعات وتأقلموا معها وانسجموا انسجاما تاما • وأصبحوا ثوريين حقيقيين ، لا يقلون عن قدامى الانصار في شيء ان في التدريب العسكري أو في المسيرات •

وشكل منهم الرفيق القائد ، ومن أولاد منطقة جبل ـ بايك دو ـ خلال صيف ١٩٣٧ سرية من الاولاد الشباب ، وحولهم خلال معارك ضارية الى أنصار وثوريين تحويلا تاما من جميع الوجوه ، مسلحين تسليحا متينا بنظرة ثورية الى العالم • فقد كانوا جميعا يعيشون وفقا للافكار الثورية ولتعليمات الزعيم الثورية ، كحجاب طيعين ، وكعناصر وحدات حراسة وكعاملين سياسيين • ولقد كان الرفاق الذين تولى الرفيق القائد تأهيلهم شخصيا ثم نقلوا الى وحدات أخرى ، مثلا ، من جميع الوجوه ، يحتذى بحذوهم وكان الجميع يمتدحونهم بالقول بأن المناضلين ممن أعدهم الرفيق (كيم ايل سونغ) ، يختلفون في الحقيقة ، عن سواهم •

وهكذا فقد كان عناصر فرق الاولاد وعناصر سرية الشباب الذين تم تأهيلهم في خضم الكفاح المسلح ضد اليابانيين مخلصين لتعاليم الرفيق القائد اخلاصا تاما بعد التحرير ، وكانوا يقاتلون بجرأة وشجاعة في جميع الظروف كدعائم للثورة وأقطاب ، يساعدون في تأسيس الجيش الشعبي ويساهمون في حرب تحرير الوطن التي انتصرت على الامبريالية الاميركية وقهرتها • وهم يواصلون الوقوف في الصف الاول على جميع الجبهات في بناء الاشتراكية •

والواقع ، يقف اليوم ملايين المناضلين ممن ساروا على خطاهم وأصبحوا الاحتياط المضمون •

ولم يوفر الرفيق (كيم ايل سونغ) ، منذ أولى أيام التحرير ، أي جهد في تدريب أبنائنا وتعليمهم وتأهيلهم ليصبحوا رجالا يمتازون بخصائص الفضيلة والمعلومات الوفيرة والاخلاق العالية والصحة المتينة ليصبحوا ثوريين مخلصين جاهزين للفداء • وأثناء الحرب ، عندما كانت كوريا تشتعل برمتها ، كانت أصوات الاولاد تسمع وهم يقرأون في مدارس بنيت تحت الارض برعاية الزعيم وعنايته ، وقد تمكن جميع الاولاد ممن خسروا آباءهم ، وتمكن أيتام الحرب ، من الذهاب الى المدارس ، الى حاضناتهم الدافئة الخاصة بهم • وما ان بدأ أعمار ما بعد الحرب حتى شيدت للجيل الجديد مدارس جديدة وأقيمت له معسكرات وأعدت مخيمات قبل كل بناء ، وبفضل حب الزعيم الابوي ، فقد قدم للاولاد على الدوام ، خير ما كان يتوفر بصرف النظر عن حر الصيف الخانق أو قر الشتاء القارص • ودشن التعليم الفني الالزامي لتسع سنوات ، في ذلك الوقت بالذات وهو الاسلوب الاكثر تقدمية في العالم أجمع • وبنيت في جميع الاماكن السياحية من الريف البديع ، استراحات ومخيمات ، بدءا من قصر الطلاب والاولاد بكل ما فيها من أسباب الراحة وسبلها ••• والحقيقة أن جيلنا الصاعد قد نما وترعرع في جو لا يدع له مجالا لان يحسد أيا كان في العالم كله ، اذ ينعم ببحبوحة تامة بفضائل النظام الاشتراكي الذي أقامه الرفيق القائد (كيم ايل سونغ) •

وليس هذا كل ما هنالك ، فان أبناء مواطنينا الكوريين في اليابان الذين كتب عليهم التشرد ، محرومون من كل حق في التعليم ومن جميع الحقوق الاخرى ، وأسيئت معاملتهم اساءة بالغة ، وهم بعيدون عن وطنهم ، تراهم اليوم يتقدمون الصفوف بعزم على دروب تعاليم الديموقراطية في مدارس مشرقة لامعة براقة مفعمة بأريج الوطن مشبعة بنفحاته وأنفاسه ، وقد شيدت بفضل عناية الزعيم •

وعندما أفكر بهذه المنجزات جميعا ، فاني أتذكر حرارة ما يكنه الرفيق (كيم ايل سونغ) من حب نحو عناصر فرق الاولاد في جبل ـ ما آن شان ـ ، وأتذكر ثمار أفكاره الثورية العظيمة • ويشاهد حب الزعيم الابوي جليا في ميزانية الدولة ، حيث ترصد لتعليم الاولاد مئات ملايين الـ (وون) وتخصص • ويهيأ الآن ملايين الاولاد من جيلنا الحاضر ويعدون وهم في طور نموهم ، بفضل عناية الرفيق (كيم ايل سونغ) ليكونوا ثوريي المستقبل لا يقهرون تماما كما كان عناصر فرق الاولاد في الماضي • ولسوف يشرق فجر يوم ، بكل تأكيد ، ينعم فيه جميع الاولاد الجياع العراة في كوريا الجنوبية ، هم أيضا ، بحياة ملؤها السعادة والحرية في قلب زعيم الاربعين مليون من الكوريين العظيم •